

طلقة تنوير 36

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد 1
أيار 2017

- كلمة العدد: الاستراتيجية الإمبريالية الجديدة تتطلب نهجاً قومياً جديداً/ عبد الناصر بدروشي
- المثقف بين العلاقات العامة والاعترا ب السياسي: الموقف من فلسطين نموذجاً/ إبراهيم علوش
- الجغرافيا السياسية والأوضاع في المنطقة/ توفيق شومر
- قراءة في كتاب "العقل العربي في القرآن" (1) - حدُّ الكلام ومكونات النص كما يفهمها العرب/ محمد العملة
- الحس القبلي كحاجزٍ أمام تقدم المجتمع العربي/ علي بابل
- شخصية العدد: الجريح والأسير والشهيد سمير القنطار/ نسرین الصغير
- الصفحة الثقافية: عشاق الأرض/ طالب جميل
- قصيدة العدد: رجال الله/ عمر الفرا
- كاريكاتور العدد

طلقة تنوير العدد 36

كلمة العدد: الاستراتيجية الإمبريالية الجديدة تتطلب نهجاً قومياً جديداً

عبد الناصر بدروشي

منذ نشأتها خلال القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر سعت قوى الهيمنة الإمبريالية الغربية إلى فرض سيطرتها على مستعمراتها في الوطن العربي والعديد من دول وشعوب العالم عبر القوة العسكرية والمادية المباشرة، واعتمدت الإمبريالية في نهجها لخيرات الشعوب على تفوقها التكنولوجي والعسكري. لكن سرعان ما أثبت التاريخ أنّ القوة المادية العسكرية والتكنولوجية، على أهميتها الكبيرة، لا يمكن أن تضمن استمرار خضوع المستضعفين للغزاة، وأنّ الأمم التي تمّ احتلالها ونهب خيراتها تمتلك من عناصر القوة المعنوية والحضارية ما يمكنها من قلب موازين القوى لصالحها وما يمكنها من أن تكسر شوكة الغازي وتقلّ حديدته.

مثلاً، على الرغم من تفوقه التقني والعسكري، لم يتمكن الاحتلال الفرنسي من شطب عروبة الجزائر ولا عروبة سورية أو تونس بالحديد والنار، وعلى الرغم من قوافل الشهداء التي تعد بالملايين لم يتمكن العدو من إطفاء جذوة الحرية والكرامة لدى شعبنا العربي، لا بل استند شعبنا إلى عناصر القوة التي يمتلكها في مخزونه وإرثه الحضاري وكبّد الغزاة خسائر فادحة في الأرواح والمعدات وأجبره على المغادرة صاعراً.

كما لم تتمكن الترسانة النووية والعسكرية المتطورة جداً سواء لدى الفرنسيين أو الأمريكيين من القضاء على حركة التحرر الوطني الفيتنامية التي قاتلت بأدوات بدائية جداً وكبّدت المحتل ما لا طاقة له بتحملة وأخرجته من الأرض.

خأصت الإمبريالية بعد التجارب المريرة التي خاضتها مع شعبنا العربي وشعوب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية إلى نتيجة مُفادها أنّ التفوق العسكري والتكنولوجي مهم إلا أنّه غير كافٍ ولا يضمن ديمومة هيمنتها على شعوب العالم.

لا شك في أنّ الحس الواحدوي العروبي كان عاملاً رئيسياً في طرد الاحتلال البريطاني من مصر والفرنسي من الجزائر وتونس والاحتلال الإيطالي من ليبيا، وإن لم يقم كيان عربي موحد في الأقطار العربية المذكورة إلا أنّ الشعور بوحدة المصير ووحدة الجغرافيا والتاريخ هي التي ألهمت المقاومين في كل من تونس والجزائر ودفعتهم نحو التنسيق وتأسيس قيادة مشتركة وعمليات مشتركة لدحر العدوان.

لمتابعنا انظر موقع لائحة القومي العربي:

www.qawmi.com

وصفحة (لائحة القومي العربي) على فيس بوك
روابط صديفة:

موقع الصوت العربي الحر

www.freearabvoice.org

راسلنا على:

arab.nationalist.moderator@gmail.com

كما أنّ فكرة الوحدة العربية هي من ألهمت مصر لتبني ثورة التحرير في الجزائر وتونس وتسليحها وتمويلها وتوفير الدعم السياسي اللازم لها، والوحدة العربية عبّدت الطريق أمام قوافل الشهداء الذين عبروا من المغرب والجزائر وتونس ومصر وسورية صوب فلسطين.

أدركت الإمبريالية منذ مطلع وحتى أواسط القرن العشرين أنّ الوعي القومي متجذّر لدى المواطن العربي البسيط من مراكش حتى البحرين، وأنّ الحدود التي قسّمت الوطن الواحد إلى كانتونات وكيانات مصطنعة لا وجود لها في قلوب ووعي الجماهير التي جسّدت مفهوم الوحدة في محطات نضالية كثيرة وسطرت ملاحم رائعة على درب التحرير، من هنا قامت الإمبريالية متجسّدة في الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني أساساً، والاتحاد الأوروبي، بتغيير إستراتيجيتها، وجاءت الحرب الشاملة التي نعيشها اليوم في وطننا العربي تحت مسمى



”الربيع العربي“، إيداناً بانطلاق مرحلة جديدة من الحروب، ومسبوبة بعمل جيوش من الباحثين العاملين في مراكز الدراسات والأبحاث الغربية، وعمل عدد من المنظرين الغربيين على وضع مقاربات ونظريات تهدف إلى إخضاع الشعوب والمجتمعات واحتلالها بدون تكبد خسائر في الأرواح والمعدات، وشنّ حروب أكثر نجاعة بأقل التكاليف، مقارنة بالحروب العسكرية المباشرة.

معروفٌ، لدى كل من يمعن النظر في المشهد التاريخي المعاصر، أنّ جذور مشكلات الواقع العربي تتمثل في التجزئة والاحتلال والتخلف، يغدّي كلّ منها الآخر واستدامة هذه الجذور هو الضمانة الوحيدة لاستمرار هيمنة القوى الاستعمارية.

وتلعب التجزئة دور القاعدة التي يركز عليها كل من الاحتلال والتخلف، فهي تبقىنا في حالة ضعف، أي أكثر عرضة للاحتلال وتقطع الطريق أمام أي مشروع نهضوي ينهي حالة التخلف.

باختصار نقول: إنّ استمرار وضع التجزئة في حالتنا كأمة عربية هو صمّام أمان الإمبريالية وسبيلها الوحيد لفرض هيمنتها علينا واستغلال ثرواتنا ومقدراتنا، وبالتالي فإنّ مزيداً من التجزئة يعني مزيداً من الهيمنة الاستعمارية وهذا بالضبط هو مشروع ”الربيع العربي“، فحدود سايكس-بيكو لم تعد تشجع إشعاع العدو الصهيوني/أمريكي، ولم تعد تقوي بالغرض التي أنشئت من أجله، وكذلك فإنّ مزيداً من التقسيم سيقدّم ضماناً لعدم تكرار سيناريو الإقليم-القاعدة كالذي قام في مصر عبد الناصر وعراق الشهيد صدام حسين.

وكما تحدّث الباحث الجيوستراتيجي الأمريكي وأحد أهم منظري نظرية نشر الفوضى توماس بارنيت فإنّ تحويل الأقطار العربية إلى كيانات فاشلة وخلق منطقة فوضى يخرجنا من دائرة الحضارة وليس فقط من الفعل السياسي. ومن هنا تفتّق ذهن الإمبريالية عن مشروع خطير جداً، وللأسف بدأت نتائج هذا المشروع تظهر على السطح، ألا وهو عملية التآكل الذاتي أو التدمير الذاتي. وبعد أن عجزت قوى الهيمنة الخارجية عن إخضاع الشعب بالقوة عمدت إلى اختراقه واختراق وعيه عبر اختراق نخبه، ومعلوم لدى الجميع الدور الذي لعبته مراكز الأبحاث الغربية التي استقطبت العديد من النخب العربية بالإضافة إلى صناعة مراكز أبحاث عربية الهدف منها ترويض النخب استعمالها لاختراق وعي العامة، على غرار مركز عزمي بشارة الذي نجح إلى حد كبير في تضليل قطاعات واسعة من شعبنا العربي من مختلف الشرائح الاجتماعية والثقافية.

وأهم ما خلّصت إليه تلك الأبحاث هو أن حدود سايكس-بيكو حدود لا يمكن لها أن تعيش من دون قوة تحميها، فهي مصنّعة وفجّة إلى درجة أن أي مواطن عربي بسيط يدرك أنه لا مبرر لوجودها وتظل في وعيه ولا وعيه ممجوجة إلى حد ما، ومن هنا جاء نوع آخر من التقسيم على أسس مختلفة وأشدّ خطراً وقتكاً من حدود سايكس-بيكو، ألا وهو التقسيم على أسس طائفية وعرقية وعشائرية.

لعبت بعض النخب العربية دوراً أساسياً خلال العقدين المنصرمين في تأسيس ملامح هذا المشروع الموبوء، وعمدت عبر الإعلام والصحافة والأبحاث والنشريات إلى زرع عوامل تفكيك المجتمع العربي وإذكاء النعرات الطائفية والعرقية المصطنعة، وأصبح الحديث هو البحث عن أصول سكان المنطقة العربية، وبدل أن يتصدر موضوع تحرير الأمة العربية من الهيمنة الاستعمارية فضاءات النقاش والندوات والمحاضرات أصبح الحديث هو أننا لسنا عرباً، بل نحن عرب وأمازيغ وفراعنة وأكراد ومسلمون ومسيحيون ودروز وشيعة وسنة...

ومن ثم قامت الإمبريالية عبر أدواتها وأذرعها الأكاديمية والإعلامية والمراجع الدينية التابعة لها بتأصيل وتعزيز الانتماء الطائفي لكل طائفة لتصبح الطائفة متماسكة ومترابطة وتمتلك وعياً طائفيّاً يتناقض مع مفهوم المواطنة والانتماء للدولة، ونقول بكل أسف ومرارة وبعيداً عن نذر الرماد في العيون أنّ هذا المشروع نجح في جزء كبير منه ونذكر على سبيل المثال الحالة العراقية حيث بلغ الوعي الطائفي الجديد من القوة ما جعل التقسيم سارياً على أرض الواقع وإن لم يتم رسمه على الخرائط.

إنّ الهدف من هذا العرض السريع لمعالم مشروع التقسيم الإمبريالي ليس إحباط العزائم والنيل منها، ولا إطفاء بصيص الأمل نحول غدٍ مشرق، وإنما كشف حجم العدوان والمؤامرة التي نتعرض لها كأمة والعمل على إيجاد حل انطلاقاً من قراءة الواقع بكل دقة وموضوعية.

فعملية التآكل الذاتي والإقتتال الطائفي لا يمكن مواجهتها فقط بالتنظير، وإنما بالحديد والنار وبناء تنظيم قومي عربي يقوم بقلب الواقع رأساً على عقب، ويعمل على إذابة رواسب ومخلفات التجزئة بالفكر وينشر الوعي بالإضافة إلى مواجهة كل النزعات الطائفية والهويات الفرعية الانفصالية بالحديد والنار وبلا أدنى شفقة.

إنّ التغيير عموماً يكون عبر نشر الوعي والارتقاء به وتوفير بيئة ومناخ مناسبين تمهيداً لعملية التغيير، أما في حالتنا العربية اليوم فتتطلب عملية التغيير منهجاً جذرياً انقلابياً أشبه ما يكون بعملية فيصرية عاجلة تنقذنا من الضياع في العدم الذي بات يهددنا أكثر من أي وقت مضى في ظل استشراف مشاريع التقسيم الحديثة.

المثقف بين العلاقات العامة والاعتراب السياسي: الموقف من فلسطين نموذجاً

إبراهيم علوش

استراتيجيات مختلة للتأقلم مع التهديدات الخارجية: لمحة عامة



يحاكي الأطفال أحياناً أصوات وحركات الشخصيات الحقيقية أو المتخيلة التي يرونها غامرة، مخيفة، أو عظيمة القدرة، من الشخصيات الكرتونية إلى الأهل والمعلمين الذين يصبحون مصادر غنية لممارسة المحاكاة في اللعب المنفرد أو مع أطفال آخرين. منذ بداية تكون الوعي، يبحث البشر عن آليات للتأقلم مع مصادر ورموز السلطة والنفوذ والقدرة في محيطهم الحقيقي أو المتخيل. وتتمثل بعض أبرز تلك الآليات في محاولة تجاوز الاختلال في ميزان القوى مع تلك الشخصيات من خلال امتصاصها والتماهي معها واستبطانها داخلياً وإعادة إنتاجها عن طريق تقليد أصواتها وحركاتها، أي عن طريق المحاكاة، وعن طريق تبني طرق أساليب وأدوات ومواقف، أو حتى عدوان، ما أو من قد يخيف ويرهب. فاختلال الميزان السيكولوجي الذي يسببه القلق من التهديد المحتمل يتم تجاوزه مجازياً من خلال الاندماج في ذات التهديد، إما بتبادل الأدوار معه، أو باستبطان المصدر المُدرِّك للجزع الغامر.

يظنّ القابع في ظل التهديد المُدرِّك أنه يستطيع بهذا أن يلطف من وطأته، ولو مؤقتاً، عبر إسقاطه على أطراف ثالثة، حقيقية أو متخيلة بدورها، أو على الذات المهددة إن

تعذر إسقاطه، ومن خلال تليفق مثل هذا التقليد الرديء والهش للتهديد الأصلي، فإن الضحايا المحتملين له يستعيدون شيئاً من توازنهم العاطفي على حساب التوازن في الإطار الأوسع لشخصيتهم، وهويتهم، وحتى إنسانيتهم، ومع أن ذلك قد لا يوقع أذىً جسدياً بالضرورة على ذات المتماهي مع التهديد، إلا أن الجرح الذاتي الناتج عنه يذبح تمامية الشخص المهدد وسلامته، من غير دماء.

ولا يختلف البالغون في حاجتهم للسيطرة على مصادر التهديد والقلق المُدرِّكين من أجل المحافظة على توازنهم النفسي والذهني، لذا يلجأ بعضهم لمحاكاتها كالأطفال، وإن كان ذلك بأشكال وتعابير أكثر اجتماعية وتسييساً، قد تبدو معقولة في الظاهر، لولا أن جوهرها هو اختلال التوازن من أجل استيعاب قوة غاشمة غير متخيلة هذه المرة، نريدنا أن نتخيلها كلية القدرة والسطوة. ومن هنا تفعل عملية التبرير فعلها في خلق نوع من الاعتراب الذاتي، ونستخدم تعبير اغتراب هنا بمعنى الاصطفاف خارج الذات لمصلحة طرف معادي نتاج اغتراب الوعي الذاتي عن الواقع، ومن هنا الاستلاب الذي يعني هنا مصادرة كيان الإنسان ووعيه لمصلحة مضطهديه.

المهم أن العملية في جوهرها تبقى هي نفسها: تصور تهديد غامر يوئد الحاجة لاستعادة التوازن النفسي والذهني إزاءه من خلال استبطانه داخلياً، ثم إسقاطه خارجياً إن أمكن على طرف ثالث أضعف، أو على الذات إن لم يمكن، مما يخلق حالة توحد موهوم مع ذلك التهديد، عبر المحاكاة، تصبح "حلاً" يسهم بردم الفجوة المفترضة بين مشاعر من يعاني الدونية بانعدام القيمة والضعف والذنب من جهة، وبين القدرة الكلية المتخيلة للمعتدي المائل. تكمن في جوهر هذه العملية إذن علاقة الدونية بين الخائف والمخيف، بين المتسلط والمستضعف، بين الفاسد الكبير والمفقر البسيط، وأخيراً وليس آخراً، بين الغازي والمهزوم.

العدد رقم (36) صدر في 1 أيار عام 2017 للميلاد

تلك هي العملية نفسها التي تصبح من خلالها قيم ومفاهيم النخب التي تفرض نفسها قسراً على أي مجتمع، من داخله أو خارجه، قيم ومفاهيم "التيار السائد" فيه. إنها أيضاً العملية نفسها التي حاولت عبرها الولايات المتحدة أن "تؤمرك" العالم بعد ما اعتبرته "نهاية التاريخ"، عقب انهيار دولة المنظومة الاشتراكية، وبدء عصر "القطب الواحد". ومن المؤكد أن مثل هذه العملية تتألف من طرفين، وتتطلب لإعين اثنين. فالنخب الحاكمة، دولياً بالأخص، تسيطر على منظومة إنتاج القيم والرموز المعاصرة من خلال سيطرتها على وسائل الاتصال الجماهيري ووسائل الإنتاج الفكرية (وبالتالي على حقوق الملكية الفكرية)، لكن مثل تلك السيطرة تضع الأساس المادي فحسب لخلق رأي سائد مطواع، أما المتطلب السابق للسيطرة على الرأي العام (أو على الجماهير، إذا أردنا استخدام ذلك التعبير السياسي المهجور) فهو أن يكون مستتباً، مغترباً عن ذاته، ومهيأ لمحاكاة مظاهر القوة القاهرة التي تفرض ذاتها عليه.

ليس ما سبق شطحة خيال معاصرة بالمناسبة، إذ سبق أن عبر عنه ابن خلدون في الفصل الثالث والعشرين من مقدمته "في أن المغلوب مولع أبداً بالاقْتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"، "والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقْتداء أو لما تراه". إذن ابن خلدون سمّاه "الاقْتداء" بدلاً من "المحاكاة"، لكن الجوهر هو نفسه من حيث ربط الاقْتداء الاجتماعي والسياسي والديني بالخضوع النفسي عبر استدخال الدونية النفسية إزاء وهم الغالب المتفوق الكامل.

قبل أكثر من قرن، نظّر الاقتصادي وعالم الاجتماع الأمريكي، النرويجي الأصل، 1857-1929 فيبلين (Thorstein Veblen)، في كتابه الذي ذاع صيته "نظرية طبقة المتمتعين بالفراغ" Theory of the Leisure Class، للطريقة التي تصبح فيها قيم ومعتقدات الطبقات الحاكمة في المجتمع الرأسمالي قيمة سائدة اجتماعياً من خلال محاكاة نمطها في الاستهلاك. فما اسمها فيبلين **veblen** "الاستهلاك الاستعراضي" من قبل الأثرياء قاد إلى العبادة الجماهيرية للنزعة الاستهلاكية حيث يحاول بقية المجتمع الاقْتداء بذلك النمط الاستهلاكي لردم الهوة المتخيلة مع عدم أهليته الاجتماعية بدلالة عدم قدرته على مجاراة الاستهلاك الاستعراضي.

وفي العلاقة ما بين المستعمرين والمستعمرين تقود عملية المحاكاة أو الاقْتداء بقطاع من المستعمرين إلى تبني مواقف ونظرة وعنصرية المستعمرين إزاءهم، مما يقود إلى كراهية الذات وإذلالها ومحاولة التشبه بالمستعمرين. ويحلل فرانز فانون، في كتابه "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" Black Skin, White Masks، العملية التي جعلت من بعض الأفارقة يكرهون هويتهم العرقية ليسعوا أن يكونوا "أكثر أبيضاضاً" إن صحّ التعبير. وفي رسالة استقبلته من المستشفى الذي عمل فيه كرئيس لقسم العلاج النفسي خلال حرب التحرير الجزائرية، يكشف فرانز فانون أنّ عمله العلاجي مع مرضاه العرب أظهر أن العديد من مشاكلهم النفسية نبعث من مشاعر الدونية التي انخرست فيهم على مدى عقود من قبل مستعمرهم الأوروبيين، فقد استبطن أولئك المرضى صورة مضطهدهم عنهم (مجلة "دراسات عربية"، دار الطليعة، 1970، العدد 5، "فرانز فانون وفلسفة العنف الثوري").

الفيلسوف والمربي البرازيلي باولو فرييري (Paulo Freire) 1921-1997، من جهته، رفع التحليل الاجتماعي والسياسي لعملية محاكاة واستبطن المضطهدين، من قبل المضطهدين، إلى قيم جديدة. فقد اعتبر فرييري ثورة المضطهدين استرداداً لإنسانيتهم، واعتبر عنفهم رداً طبيعياً على العنف الأصلي المتمثل باضطهادهم، لكنه ذهب أبعد من ذلك ليحلل العملية التي تتحول الأنظمة الثورية بموجبها إلى أنظمة قمعية، تماماً كالأنظمة التي فرغت للتو من الإطاحة بها، عندما تمتص الأنظمة الجديدة خلال الصراع للوصول للسلطة المنظومة القيمية للمضطهدين السابقين إزاء المضطهدين. فالتحرير، بالنسبة لأولئك الثوريين، بات يعني فعلياً تحولهم إلى مضطهدين، لا التخلص من منظومة الاضطهاد نفسها.

أما الكيفية التي تتحول الثورات الشعبية معها إلى أنظمة مضطهدة، والحديث يدور بالضرورة عن الثورات الشعبية الحقيقية، المناهضة للإمبريالية، لا عن الثورات المضادة المتحالفة معها، فخارج سياق هذه المعالجة. غير أن النقطة تبقى أن كلاً من فيبلين وفانون وفرييري اكتشف، في أوقات مختلفة، على مستويات سياسية واجتماعية مختلفة، كيف يقوم المضطهد باستبطن المضطهد ومنظوره للعالم، ومن ذلك انطباعاته حول المضطهد وأسباب شقائه ومعاناته التي يعيدها دوماً لقصور ذاتي فيه لا لمنظومة الاضطهاد نفسها.

العدد رقم (36) صدر في 1 أيار عام 2017 للميلاد

على مستوى الفرد، كانت أنا فرويد، ابنة سيغ蒙德 فرويد، أول من تعرّف، في العام 1936، على عملية استنباط المعتدي ومحاكاته بين الأطفال. وعلى المستوى العربي، أبدع الدكتور مصطفى حجازي من لبنان، في مرجعه الكلاسيكي الرائع "التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المجهول" (1981)، في وصف عملية استنباط الاضطهاد من منظور علم النفس الاجتماعي، مع محاولة جادة لتطبيق المفهوم عربياً، غير أن كتابه لا يربط البعد النفسي والاجتماعي لاستنباط الاضطهاد بالمنظومة السياسية والاقتصادية في الوطن العربي، أي بثلاثية التجزئة والاحتلال والتخلف، وعندما حاول أن يعوّض عن ذلك النقص في كتاب "الإنسان المهذور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية" (2005)، فإنه جنّح باتجاهات ليبرالية بعيدة كل البعد عن مصادر وبنية الاضطهاد الحقيقية في الوطن العربي، ولم يمتلك القدرة على ربطها بالمنظومة الاقتصادية-الاجتماعية أو بالصراع بين الإمبريالية والدول المستقلة أو بجمعية إنتاج منظومة التجزئة للتخلف، ولم يذكر فيلن أو فريري مجرد ذكر، ناهيك امتلاك التماسك النظري لربط الفردي بالسياسي، بعيداً عن جلد الذات سياسياً، كما فعلاً، وقد قدمنا نقداً لرؤية الدكتور حجازي، الذي قدّم الكثير من منظور علم النفس الاجتماعي، ثم أسقط رؤية الغرب الليبرالية علينا كعرب عندما شرع بتحليل منظومة الاضطهاد عربياً، في العدد 29 من مجلة طلقة تنوير (التخلف الاجتماعي والتجزئة العربية، 1 تشرين أول 2016).

والخلاصة بالنسبة لأعمال الكُتّاب الذين بحثوا عملية استنباط الاضطهاد ذاتياً هي أن المضطهدين، بسبب ظرفهم، كثيراً ما تنشأ لديهم مشاعر بالدونية وعدم الكفاءة والهشاشة، مما يقودهم، في غياب إدراك موضوعي ووعي حقيقي بمنظومة العلاقات التي تتخلل عالمهم، إلى تبني وجهة نظر المضطهدين إزاء العالم، والأهم، إزاء أنفسهم. ويعمق مثل هذا الوعي الزائف إحساسهم بالدونية ويدفعهم أكثر فأكثر لمحاكاة المضطهد، والسعي للوصول إلى موقعه، في دائرة خبيثة تعزز شرط الاضطهاد اجتماعياً. وإذا أردنا وصف الصورة بجملة واحدة لقلنا أن من يجد نفسه طرفاً متلقياً للقهْر (على شاكلة احتلال مثلاً)، من دون امتلاكه وعياً موضوعياً لظرفه، ومشروعاً جاداً لقلب الطاولة، قد يدفع به الخوف والقلق لتبني وجهة نظر من يقهرونه إزاء العالم وإزاء نفسه.

العرب المستلبون ذاتياً: تطبيق سياسي

يستطيع المرء، على الصعيدين السياسي والثقافي، أن يطبق نموذج المحاكاة أو الاقتداء بالمضطهد واستنباطه على أولئك المتفقين العرب والشرائح الاجتماعية الساعية لقطع صلاتها بهويتها العربية وتراثها ولغتها وقضاياها، وفي صفوفها كثير ممن يلتهمون خطاب وسرديات الحركة الصهيونية أو العولمة الليبرالية أو كليهما. فتراهم يجترونها الخطاب الإمبريالي إزاء العراق أو ليبيا أو سورية أو اليمن، أو فلسطين، وإزاء أسباب التخلف العربي، وإزاء مقاومة الإمبريالية والصهيونية. والأساس بالنسبة للمخدوعين بذلك الخطاب هو مشاعر الذنب والفشل التي تنمو بداخلهم بمقدار ما يستنبطون رؤية المضطهد الصهيوني والإمبريالي لواقعنا العربي، فينقلبون على أنفسهم، وينقلبون أكثر على عروبتهم كامتداد لتلك الذات المحترقة. ومن المهم هنا التركيز على أن تلك الرؤية العنصرية المتعالية على الذات هي الرؤية الإمبريالية الصهيونية للذات العربية التي تم استنباطها، لا رؤية مشروعة سببها "اضطهاد الأنظمة الوطنية والقومية للشعب"، على ما يزعم الليبراليون العرب، ولو كانت كذلك، لانطلقت في دعوتها لتحقيق "الحرية" و"الديموقراطية" من النمساك بالهوية العربية وتحقيق الاستقلال القومي، لا من قاعدة تفكيك الهوية العربية ونبذها، مع التحفظ أصلاً على التوصيف نفسه الذي يستهدف الأنظمة الوطنية والقومية، كأن الأنظمة الرجعية والمرتبطة واحات من الديموقراطية والحرية، وكأن الديموقراطية يمكن أن تقوم في الوطن العربي في ظل التبعية والاحتلال والتجزئة والتخلف.

العربي المستلب، بالأساس، هو شخصٌ مشوش يبدأ بربط الهوية العربية، التي تصبح فجأة مسطحة، رتيبة، ومتوقعة في صورة نمطية منحطة، بكل ما هو سلبي ودوني. أما كل شيء متفوق وإيجابي ومنتور فتنم نسبته للولايات المتحدة، للغرب، لليهود، للصهاينة، إلخ... أو، في نسخ معدلة أخرى، لكل قوة أو شخصية سياسية مناهضة للعروبة. ومثل هذه الحالة من الاختلال النفسي لا يمكن تعويضها أو حلها من قبل العربي المستلب إلا بالهروب من الذات، ليجد عن أو من دون وعي جسوراً باتجاه قيم ومعتقدات وممارسات ورؤية مضطهديه للعالم، وليتحول بدوره من ثم إلى جسرٍ تعبر إلينا عبره.

ويصبح مثل هذا الاستلاب الذاتي، بالنسبة للعربي العادي المستلب، افتتانياً وهوساً بنمط حياة وموسيقى وثقافة وطعام وثياب وأدوات المجتمعات المهيمنة عالمياً. تماماً كـ بعض "الهنود البريطانيين" أو "الفرنسيين الجزائريين" أو "الفلسطينيين المتأسرلين الذين يتخذون لأنفسهم أسماء عبرية"، فإن الخلاص يصبح متمثلاً بالقدرة على فقدان الهوية والذوبان في ذات المعتدي، المضطهد، أو الغازي، والتماهي معه.

العدد رقم (36) صدر في 1 أيار عام 2017 للميلاد

المثقفون العرب المستلبون، من جهة أخرى، يعبرون عن استلابهم بالتحول إلى متحدثين رسميين باسم العولمة، "السلام مع إسرائيل"، "تقبل اليهود في فلسطين"، واعتبار المقاومة إرهاباً واعتبار الإرهاب "مقاومة للديكتاتورية"، واعتبار التدخل الخارجي "مشروعاً ديموقراطياً"، واعتبار الشأن الفردي أولوية سياسية، واعتبار محاربة المنظومة الاجتماعية العربية التقليدية المشوهة المشروع السياسي الأهم في العالم، واعتبار "الإنسانية" مرجعيتهم والعروبة "شوفينية عنصرية بائدة". هؤلاء إذن يعبرون عن ذلك الاستلاب على شكل مقولات وطروحات تستهدف التأثير في الشارع وفي مسار الحدث. وبمقدار ما يعمم المثقفون المستلبون تلك المقولات، بالنسبة عن مضطهدي الأمة، بشكل متعمد، من دون أن يكونوا مقتنعين بها بالضرورة، بحثاً عن مصالح أو امتيازات خاصة، فإنهم يكونون أبواق انتهازية أو مأجورة فحسب، تشتغل بتيسير استلاب المجتمع العربي وسلبه وعيه وإرادته وتماسكه مقابل مصلحة خاصة أو أجر معلوم وتبقى مستعدة للانقلاب عليه إذا تغيرت الرياح، وبمقدار ما يبرر هؤلاء منظومة الاضطهاد العربية انطلاقاً من قناعة داخلية منبثقة من استلابهم، فإنهم يكونون أقرب لنموذج المحاكاة، لأنهم يكونون قد استكملوا عملية التخلي عن الذات.

لتلخيص النقطة أعلاه حول الفرق ما بين النوعين، لعل من المفيد أن نستحضر هنا الفرق النوعي بين من يدعمون أشكالاً مختلفة للتسوية مع العدو الصهيوني مثل "حلّ الدولتين"، وبين من يدعون الفلسطينيين والعرب فعلياً، في النظرية والممارسة، لتقبل الصهيونية نفسها تحت عنوان "الدولة الواحدة"، مع التذكير أن تيودور هرتزل، أبو الصهيونية، عرّفها بأنها تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين.

من البديهي أن النوعين يمثلان طرفاً معيبة للتأقلم مع الاضطهاد الغامر، المتمثل تحديداً بالغزو اليهودي لفلسطين، ولا يفيدنا بتاتا أن نصفه على غير حقيقته باعتباره أي شيء آخر غير غزو يهودي لفلسطين. لكن الفرق يبقى أن مؤيدي اتفاقية أوسلو (وبقية المعاهدات الخيانية مع العدو الصهيوني) يقولون لقواعدهم وجمهورهم أنهم يتأقلمون مع أمر واقع جائر لا يستطيعون تغييره وأن عليهم بالتالي أن يتعايشوا معه وأن يسعوا لإيجاد موطنٍ قدم لهم فيه، وهي حجة انهزامية شفافاً تستند إلى ميزان قوى راهن، وإلى عقلية تمارس التقريط بالحق التاريخي وحق وواجب المقاومة وحقوق الأجيال المقبلة مقابل وهم مكاسب راهنة، لكنها لا تقول لجمهورها وقواعدها بالمقابل أن الوجود اليهودي في فلسطين، الناتج عن غزو استيطاني إحلالي، لا عن هجرة عادية، هو وجود مشروع ومبرر، وما عدا ذلك فإنهم يقولون في البيانات والمؤتمرات الصحفية ما يرغب بأن يسمعه الساسة الغربيون والصهاينة بحسب الطلب، وهم يتعهدون أمن العدو الصهيوني على تخوم فلسطين وداخلها.

أما الساسة والمثقفون العرب الذين يتبنون مقولة "الدولة الواحدة" فإنهم يتخلّون سلفاً عن عروبة فلسطين، تحت عناوين مختلفة منها "ثنائية القومية" أو "الدولة الديموقراطية" أو غيرهما، ويعتبرون الآثار الديموغرافية للغزو اليهودي لفلسطين، أي التواجد اليهودي في فلسطين، أمراً مشروعاً، تماماً مثل تيودور هرتزل، ويتمثل مشروعهم الثقافي بأنسنة الغزاة، وبتبني سرديتهم التي يبرر الصهاينة من خلالها حاجتهم لـ "وطن قومي لليهود في فلسطين"، ابتداءً من الاضطهاد التاريخي لليهود عالمياً، وصولاً لذروة ذلك الاضطهاد المتمثل بأساطير "المحرقة" الخرافية... مثل أولئك المثقفين والساسة العرب أكثر خطراً بكثير على العقل والوجدان العربي لأنهم يروجون الذرائع الأيديولوجية الصهيونية للاضطهاد لجمهور عربي وفلسطيني باعتبارها "مشروعاً نضالياً وطنياً"! وهم يروجون مثل تلك الذرائع حتى وهم يتقدمون الصفوف في معارضة "اتفاقية أوسلو"، كما كان يفعل إدوار سعيد، وهم يدعون لـ "حوار الآخر"، و"فهم الآخر"، و"تقبل الآخر"، هذا "المحايد" الذي شاءت الصدفة أن يحتل أرضنا ويطرنا من ديارنا، كما كان يفعل محمود درويش، وهم يشتغلون بتلويث العقل العربي، داخل فلسطين وخارجها، كما لا يزال يفعل عزمي بشارة انطلاقاً من مركز دراساته في قطر مدججاً بالبترول وغاز، وكما كان يفعل منذ البداية، وكما لا يزال يفعل كثيرون غير الذين سبق ذكرهم.

نَقْد الكيان الصهيوني على «عنصريته» كما فعلت ربما خلف، وتجاهل الأساس وهو احتلال فلسطين التاريخية، وتحول «النضال الوطني» إلى «عمل مشترك مع اليهود التقدميين»، وتقديم أوراق اعتماد لـ «الرأي العام العالمي» تتمثل بالاستعداد للتخلي عن الأراضي المحتلة عام 1948 والاستعداد للتخلي عن المقاومة المسلحة، والتعامل مع اتباع الديانة اليهودية كقومية لها «حق تقرير المصير في فلسطين»، وتجاوز عروبة أرض فلسطين التاريخية باعتبارها «لغة خشبية»، والمسارعة لإدانة العلماء المراجعين الذين فندوا أساطير «المحرقة» علمياً كما فعل محمود درويش وإدوار سعيد حين شاركوا ببيان في العام 2001 طالب رئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري آنذاك بمنع مؤتمر للمراجعين في بيروت، وباختصار، البحث عن وسائل لـ «النضال» يرضى عنها مضطهدونا الصهاينة والإمبرياليون

العدد رقم (36) صدر في 1 أيار عام 2017 للميلاد

وتجعلهم "يقبلوننا" كأننا هم، يمثل مزيجاً مركباً للاستلاب السياسي والاجتماعي والثقافي الذي ينطلق من عقدة ذنب أننا "نحن"، وأنا لسنا "هم"، وأن الحل يكون بأن نصبح "مثلهم"، وأن ذلك لا يتحقق إلا إذا ربتوا على أكتافنا واحتضنونا، بدلالة أن معظم هؤلاء حين يتحدثون عن "نيل تأييد الرأي العام العالمي" يختصرون ذلك بالرأي العام في الدول الغربية، ناسين مليارات الناس خارجه، وأن السياسي والمثقف العربي أو الفلسطيني الأكثر رواجاً بين المستلبين هو الذي يدمغ الغرب أو الصهاينة "التقدميون" مهر "مقبول" على مؤخرته.

ومن البديهي أن الخضوع الخارجي المهزوم للاحتلال وشروطه كثيراً ما يهيئ لأدلجته وعقلته داخلياً، فلا نستطيع أن نضع حداً فاصلاً بشكل قاطع بين النمطين، وكثيراً ما تنبني الجسور بينهما من خلال التوهم بأن المرء يلعب لعبة "علاقات عامة"، ويخترق "صُفوف جبهة الأعداء" بدهائه وفهلويته، وغيرها من التبريرات المصممة عن وعي أو من دون وعي لتخفيف وطأة السلوك الانهزامي أو الإذعان مقابل قوة غاشمة غير عقلانية، لكن المحصلة النهائية تبقى إن الفرق العملي بين الانتهازي والمتساقط من جهة، وبين المتماهي مع العدو ثقافياً وسياسياً من جهة أخرى، هو أن الفئة الأولى تسقط بسقوط الظروف التي سيدتها على الساحة، أما الأفكار والمنظومة القيمية التي تقيد المضطهدين بقيد الخضوع الوجداني المعقلن والتماهي مع المضطهد والمحتل فأكثر استقراراً، كما نرى من المتفرنسين في الجزائر مثلاً الذين ظلوا بعد عقود طوال من رحيل الفرنسي عنها. فمن الواضح أن الخضوع الأيديولوجي يخترق الوعي الجمعي بشكل أكثر عمقاً بكثير من الخضوع السياسي، ولذلك فهو أكثر خطراً. فالكلمات قد تحدث أذىً أكبر مما تحدثه الأسلحة. وتدمير الوعي والهوية والإرادة أكثر وحشية من الهيمنة الخارجية، لأن الهيمنة الخارجية تستفز روح المقاومة، ولو بشكل مستتر، أما أدلجة الخضوع ونجاح "عقلنته" فتصبح سجنًا للروح.

وفي حوار مع رفيق حول مسألة الاستلاب والاعتراب السياسي، أشار إلى أن ميلفن سيمان (حول معنى الاستلاب، 1959، American Sociological Review) رأى بأن الاعتراب السياسي له خمسة أشكال تظهر على المغتربين وهي: (1) الإحساس بانعدام القوة، Powerlessness

(2) انعدام المعنى، Meaninglessness

(3) انعدام المعايير، Normlessness

(4) الانعزال، Isolation

(5) الانفصال الذاتي، Self-Estrangement

ونلاحظ في هذا السياق أن المغتربين سياسياً لديهم: (1) إحساس عارمٌ بالضعف وانعدام القوة: "مقاطعتكم للمنتجات الصهيونية لن تضر إسرائيل"، "المقاومة تضر ولا تنفع"، أو "كم واحد مات من عنا وكم واحد مات من عندهم"، (2) إحساس عارمٌ بانعدام المعنى: "اعتصامكم لا يقدم ولا يأخر"، أو "القرآن قال تحترق: فاش داعي نعمل أشي"، (3) إحساس عارمٌ بانعدام المعايير: "أنا بروح عايرائيل وبتعلم منهم"، "أنا إسرائيل ما عملتلي أشي عشان احاربها"، أو مثقفون يطالبون بالديموقراطية من خلال منبر قناة العربية أو من خلال قطر، (4) إحساس عارمٌ بالانعزال عن المجتمع واتخاذ موقف سلبي منه. ويذكر أن بولو فيريري قال أن اتخاذ موقف ضد الناس هو أول خطوة للهروب من النضال: "بدك هالشعب المتخلف يحرر فلسطين"، أو "لو كل الشعب يتوعى زينا ممكن تتحرر"، (5) إحساس عارمٌ بالانفصال الذاتي: "أنا مصري مليش دعوة بفلسطين"، "لما أهلها يحاربوا احنا بنحارب"، أو "أنا يا دوبي اطعمي ولادي".

ما سبق لا ينسبنا بالطبع، بل يطرح بقوة، أهمية الوعي الثوري، ووجود حيز كبير للمثقف الثوري، الذي يرى الواقع كما هو، فلا يخدع نفسه، ولا يخضع لشروطه، فيلتحم بقضايا شعبه وأمته، ويوظف فكره وإبداعه في خدمة مشروع التغيير، ومثل هؤلاء موجودون في تراثنا وتاريخنا المعاصر، وإن عمل الإعلام ووسائل الثقافة المهيمنة على تهميشهم ومحاصرتهم. لكن ثمة مثقفون عضويون حقيقيون في بلادنا التزموا بالثوابت وبالقضية وبعضهم قاتلوا واستشهدوا أو سجنوا أو أفقر، فلم يهن ولم يتراجع، وهي الظاهرة الإيجابية التي لا تكتمل هذه المعالجة من دون الإشارة إليها، ولعل من ممثليها فلسطينياً الشاعر عبد الرحيم محمود والأديب غسان كنفاني والشاعر كمال ناصر والشاعر راشد حسين والمفكر ناجي علوش والمؤرخ محمد عزة دروزة والشاعر يوسف الخطيب وغيرهم كثير، وكل الاعتذار مسبقاً من العشرات وربما المئات الذين أغلقت ذكر أسمائهم، إنما كان القصد إظهار عينة من النقيض الآخر للحالة من بين المثقفين الملتزمين.

المخلص:

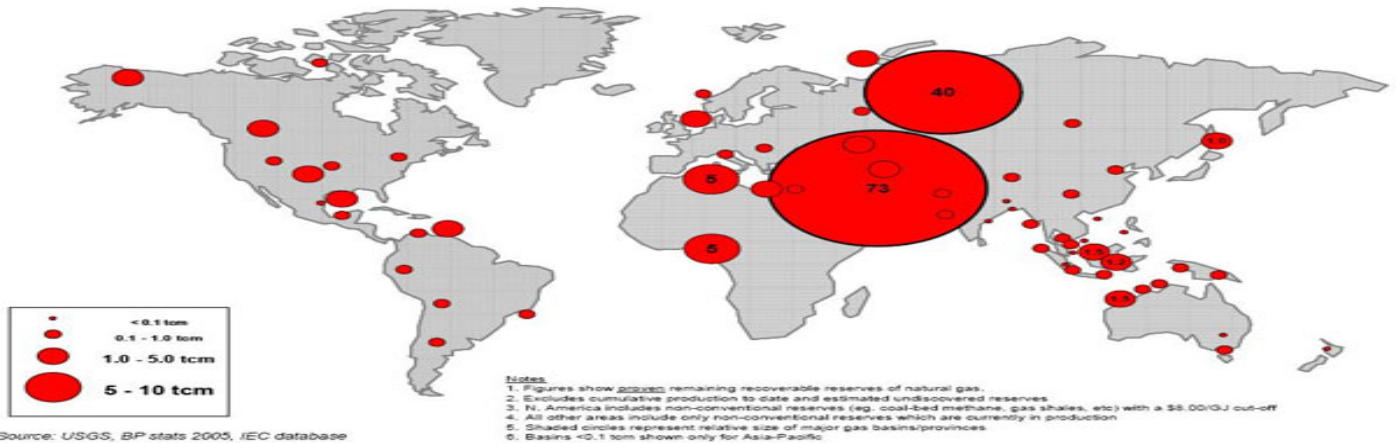
هل بدأت الحرب العالمية الثالثة منذ دخول روسيا بقوة على خط الأزمة السورية، أم أنها كانت قد بدأت منذ زمن وما تدخل روسيا المباشر إلا حلقة من حلقات هذه الحرب المستعرة عالمياً منذ ما يزيد عن أربع سنوات؟ لكي نفهم عمق الأزمة العالمية الحالية ولماذا يمكن تسميتها بأنها الحرب العالمية الثالثة، لا بد لنا أن نتابع تطورات الجغرافيا السياسية لعالم اليوم والتطورات التي طرأت على هذه الجغرافيا في السنوات الأخيرة³.

مقدمة:

يقول ثعلب السياسة الأمريكية بريجنسكي: «لأن الناخب الأمريكي لا يمكنه أن يستوعب سياسة الطاقة وتعقيدها، على السياسة أن يقدموا بدائل سخيفة لتبرير سياساتهم». كنت قد قدمت قبل ثلاث سنوات محاضرة عن الأوضاع في المنطقة، ثم حوّلتها إلى ورقة نُشرت في أعمال مؤتمر جامعة فيلادلفيا بعنوان الجغرافيا السياسية للتغيير، وأوضحت خلالها أن الصراع الرئيسي الذي يدور في العالم أساسه صراع على الطاقة ومصادرها. وأوضحت حينها أن الوطن العربي في بؤرة هذا الصراع لكونه المصدر الرئيسي للطاقة.

أما عن الحروب التي دارت رحاها على ثرى وطننا العربي فهي بهذا المقياس تنقسم إلى ثلاث مراحل⁴:
- المرحلة الأولى حروب النفط، وهي تلك الحروب التي بدأت مع نهاية حرب تشرين التحريرية، والقرار الذي اتخذته السياسة الاستراتيجية الأمريكية بشعارها «لن يحدث هذا مرة أخرى أبداً» «Never again»، والمقصود هنا بالطبع أن الولايات المتحدة لن تسمح للعرب باستخدام سلاح النفط مرة أخرى كما فعلوا في حرب 1973.
- المرحلة الثانية تمثلت مع نهاية الألفية الثانية عندما بدأت حروب الغاز، وهي المرحلة التي ما زلنا نمر بها اليوم.
- والمرحلة الثالثة لم تبدأ بعد ولكنها لا بد قادمة وهي حروب الشمس.
وبما أننا ما زلنا اليوم في خضم حروب الغاز لا بد أن ننظر إلى خارطة احتياطات الغاز في العالم لنذكر أهمية منطقتنا:

Total (2004) = 180 tcm



Source: USGS, BP stats 2005, IEC database

1. أستاذ مشارك في فلسفة العلوم، قسم الفلسفة، الجامعة الأردنية - الأردن

2. هذا/ه المقال/المحاضرة التي ألقيت في منتدى الفكر الاشتراكي في عمان مهدي لذكرى أخي لبيب شومر الذي حلت الذكرى الأولى لوفاته يوم 3/11/2015.

3. <http://topdocumentaryfilms.com/geopo>

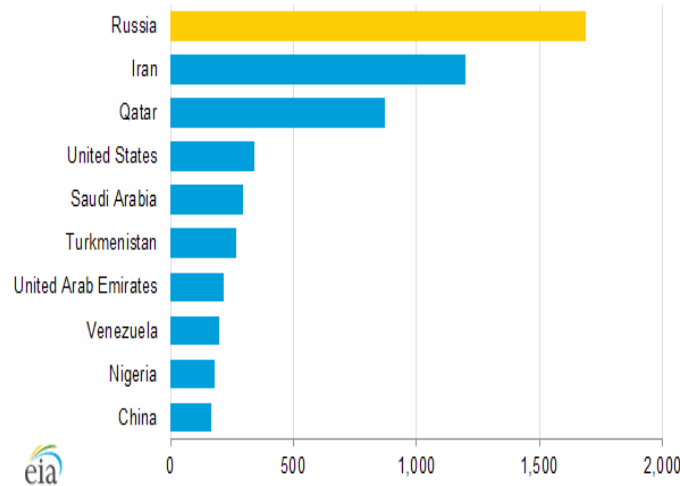
العدد رقم (36) صدر في 1 أيار عام 2017 للميلاد

إذن فإن أي محلل استراتيجي في أي من الدول الغربية سيقول لسياسييه أن يتنبهوا من طبيعة الحكم ومن السياسات الممكنة للدول التي تقع بالضبط تحت الدائرة الكبرى لاحتياطيات الغاز في العالم وهي: إيران، الخليج العربي وشرق حوض البحر المتوسط، أي سورية ولبنان وفلسطين ومصر والأردن والعراق - ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه الخارطة تعود إلى 2005 ولا تحتوي الاكتشافات الجديدة للغاز في مصر.

حروب الغاز هذه هي التي توضح الوضع السياسي القائم في سورية. فبعد اكتشاف أكبر احتياطي للغاز في العالم في شرق المتوسط، وبعد دخول قطر كلاعب مهم في سوق الغاز العالمي، نجد أن سورية تقع في محور مهم في هذه المعادلة. فقطر بالرغم من تقنية الغاز المسال التي تعتمد عليها لتصدير الغاز إلى العالم، لم تستطع المنافسة مع روسيا في السوق الأوروبية، فخطوط الغاز المباشرة من روسيا إلى أوروبا تساعد على تخفيف الكلف على نقل الغاز وبالتالي تعطي أفضلية واضحة للغاز الروسي على الغاز القادم من قطر، والذي يحتاج إلى موانئ خاصة لعمليات التفريغ ليست متوفرة لدى الكثير من الدول الأوروبية. ولكن خط الغاز من روسيا هو خط طويل يأتي من سيبيريا مروراً بأوكرانيا إلى أوروبا، بينما إذا تمّ تمديد خط من قطر والمتوسط إلى أوروبا عبر سورية سيكون أقرب وأرخص بالنسبة لأوروبا. إذن قضية سورية من هذا المنظور هي قضية روسيا بكل تأكيد. فتحوّل النظام في سورية من نظام صديق لروسيا إلى نظام حليف للناطو يفقد روسيا تفوقها على صعيد تجارة الغاز في العالم، ويُفقد السوق الأساسية لها وهي السوق الأوروبية. وبالتالي فدعم روسيا للنظام في سورية يتعدى كثيراً المواقف السياسية إلى مواقف استراتيجية تتعلق بموقع ومكانة روسيا الاتحادية على الخارطة الدولية.

ولجعل الصورة أوضح في تركيبة التحالفات وعلاقة إنتاج الغاز بهذه التحالفات، لا بدّ من النظر إلى مصادر الغاز المتوفرة اليوم في السوق العالمية:

Figure 5. Estimated proved natural gas reserves, as of January 1, 2015
trillion cubic feet



Source: Oil & Gas Journal, "Worldwide Look at Reserves and Production," December 1, 2014.

فكما نرى من تقديرات الغاز المثبت وجوده والذي بدأ باستخراجه، نجد أن روسيا وإيران هما البلدان اللذان يحظيان بالإنتاج الأعلى والاحتياطي الأعلى إلى اليوم. هذا يفسّر علاقة إيران وروسيا بما يحدث في المنطقة، فما علاقة الصين بها؟ ولماذا اتخذت الصين موقفاً الحاسمة في سورية؟

هذا يلزمنا أن ندخل في مرّكب آخر مهم في بناء العلاقات الجيو - سياسية في العالم، وهو المرّكب الاقتصادي والمالي، وما يترتب عليه من لعبة رأس المال. فضمن صعود الصين الاقتصادي خلال العقدين الماضيين، وعلى الأخص خلال السنوات من 2005 - 2010، فقد حاولت جاهدة أن تدخل في حلقة رأس المال العالمي وأن يتم اعتبارها كشريك في التوازنات الاقتصادية العالمية، ولكن رأس المال المالي العالمي أبى أن يدخل الصين في اللعبة، بل حاول جاهداً أن يفرض على الصين سياسات مالية تتنافى مع مصالحها. ولذلك، وبعد ما حدث في ليبيا عندما وقفت روسيا والصين على الحياد، بتمريضها قراراً في مجلس الأمن لفرض الحظر الجوي على ليبيا مهدد لعدوان النااتو المرّكب وأدى إلى قتل أكثر من مئة ألف ليبي، بينما كانت الأعداد التي ادّعى النااتو أنّ النظام الليبي قد قتلها في "قمعه لشعبه" لا تتجاوز ألفي شخص، أي أنّ غزو النااتو بدل أن يساهم في وقف الضحايا في ليبيا فقد أدّى إلى قتل أضعاف مضاعفة⁵، أضف إلى ذلك ما لحق بالصين من خسائر بالنسبة لاستثماراتها الكبيرة في ليبيا، مما أدى إلى تحوّل كبير في موقفها على الساحة الدولية.

4. لا بد أيضاً من الإشارة إلى أن التركيز على الوطن العربي يختلف عن التعامل مع غيره من المناطق التي تتشابه معه على المستوى السياسي والاجتماعي والتي تفقّر للديمقراطية ويستشري بها الفساد، لكنها لا تملك المؤهلات الاقتصادية للمنطقة العربية، فلا نجد الاهتمام بها متناسباً مع الاهتمام بالوطن العربي.

العدد رقم (36) صدر في 1 أيار عام 2017 للميلاد

فما حدث في ليبيا دفع الدول التي تحاول أن تأخذ موقعها في الساحة الدولية إلى دق ناقوس الخطر. وقد رفعت بعدها شعاراً أساسياً مفاده: "ليس بعد اليوم" كشعار لسياستها القادمة. ولذلك نجد أن مجموعة الدول الجديدة المسمية بمجموعة البركس: (البرازيل والصين والهند وروسيا وجنوب أفريقيا) قد كُتفت من اجتماعاتها منذ ذلك التاريخ وأخذت تقدم سياسات دولية مختلفة عن سياساتها المهادنة السابقة. ونجد أنها أدركت أن لا حلّ أمامها للمشاركة في السياسة الدولية إلا بضرب جذور التفوق الأمريكي وهيمنته على العالم. وتمثل ذلك بجملة من القرارات والتصريحات التي توضح سياساتها القادمة:

- ففي مقابل الذراع الاقتصادية الأمريكية المهيمنة على كل من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، اتخذت هذه الدول قراراً بتشكيل صندوق تنموي عالمي جديد يكون ملاذاً للدول التي تريد الانفكاك من سيطرة وهيمنة السياسة الأمريكية.

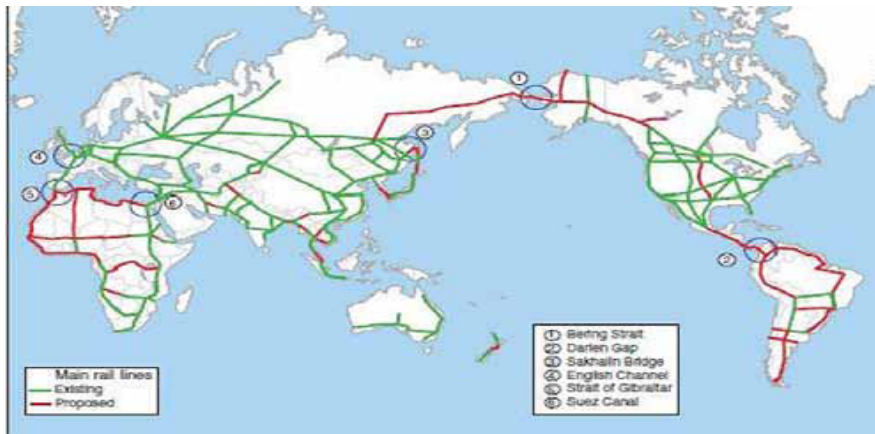
- وفي مقابل السياسة الأمريكية للدفاع، والتي أعلنت أن العدو الأساسي للولايات المتحدة الأمريكية في السنوات العشر القادمة هي الصين، نجد أن الصين تحولت إلى زيادة الدعم لقوتها العسكرية، ونجد أن روسيا قد أوفدت رئيس الوزراء حينها فلاديمير بوتين لتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع الصين في بكين. مثل هذا التصرف الروسي له دلالاته الكثيرة، بالأخص أن الاتحاد السوفيتي في أوج صراعه مع الغرب لم يوقع مثل هذه الاتفاقية. بالإضافة إلى أنّ قبول روسيا أن يتم التوقيع في الصين له دلالاته الرمزية الكثيرة حول دور وحجم الصين في السياسة العالمية القادمة.

- في القضية السورية نجد أن الدول الخمس قد وقفت إلى جانب الدولة السورية بقوة في المحافل الدولية وصوتت لصالح سورية وضد القرارات الدولية التي حاول الناتو وحلفاؤه تمريرها. ووصل الأمر إلى رفع حق النقض (الفيتو) ثلاث مرات من قبل كل من الصين وروسيا في مجلس الأمن.

- أضف إلى ذلك قرار دول البركس بأن تكون التعاملات الاقتصادية بينها بعملاتها المحلية وليس بأي من الدولار أو اليورو.

... بالإضافة لغيرها من القرارات والاتفاقيات فيما بينها والتي تؤدي في النهاية إلى فرض بديل تنافسي لسيطرة الدولار والولايات المتحدة الأمريكية. وقد تمّ إنجاز العديد من هذه القرارات خلال السنوات الثلاث الماضية ومنها:

- بنك التنمية الجديد NDB ، والذي كان من المقرر أن يبدأ برأس مال قيمته 50 مليار دولار فتمّ افتتاحه برأس مال تجاوز 300 مليار بمساهمات متكافئة من الدول الخمس الأعضاء، في 21 تموز من عام 2015.
- بنك آسيا للاستثمار في البنية التحتية AIIB، والذي تمّ افتتاحه عام 2013 لزيادة حصة الصين في مشاريع التنمية في منطقة آسيا.
- منطقة التجارة الحرة لدول البركس والمنظمات المساندة: الدول الأوراسية، منظمة التعاون لآسيا والباسيفيك/ منظمة دول أمريكا الجنوبية والتي ساهمت جميعاً في تثبيت ودعم قوة البركس المتصاعدة.
- الوصل بين دول البركس (والعالم)، حيث تمّ التوقيع مع دول أمريكا الجنوبية على ربط القارة الجنوبية بشبكة سكك حديد متطورة حول القارة وخلال القارة. وهذا المشروع هو عبارة عن جزء من مقترح صيني أكبر لمحاولة ربط العالم برأ:



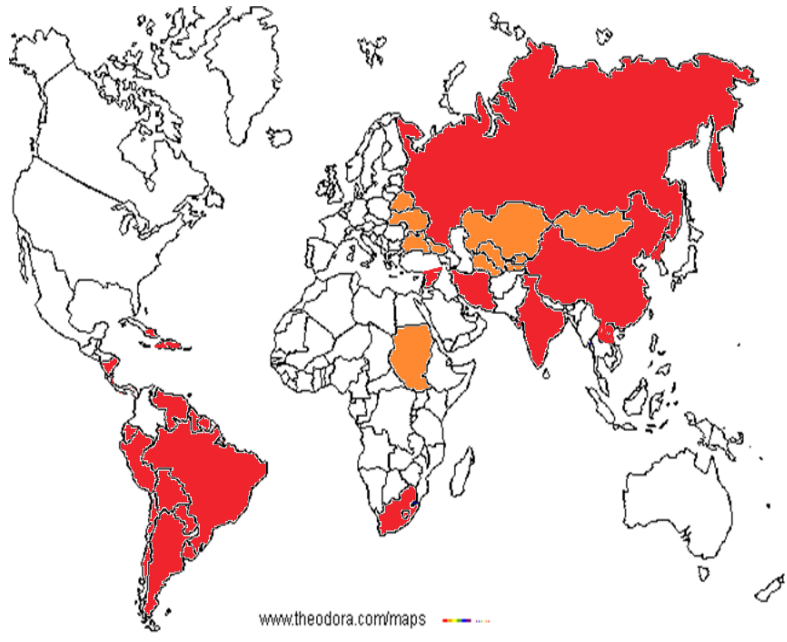
- التعامل بالعملات المحلية للدول.
- وهذه القرارات والممارسات الاقتصادية يمكن مقابلتها بشكل مباشرة مع منظومة بريتون-وودز 1944 التي ساهمت بوضع الدولار والاقتصاد الأمريكي في موقعه المهيمن في العالم ونقصد تحديداً:

- صندوق النقد الدولي
- البنك الدولي
- منظمة الجات
- معادلة تثبيت سعر صرف الدولار بالذهب: 35 دولار أمريكي لكل أونصة ذهب (28 غرام)

5. أقول مرة أخرى، أنا لا أناقش هنا قضية "الديمقراطية وحقوق الإنسان" وحقوق الشعب العربي بالكرامة والحرية، فهذه قضية لا أساوم عليها وأعتقد أنها حق أصيل للشعب العربي. لكنني لا أعتقد أن الناتو والاستعمار الإمبريالي يمكنه، ضمن تاريخه الاستعماري والعدواني إزاء مقدرات وحريات الشعوب يمكن بأي شكل أن يكون حليفاً لحقوق الشعب العربي في التحرر والكرامة.

العدد رقم (36) صدر في 1 أيار عام 2017 للميلاد

وإذا ما أخذنا الواقع القائم اليوم ضمن تحولات دول البركس على خارطة الجغرافيا السياسية العالمية، نجد أن الدول التي لا تتفق مع سياسات الناتو بالرغم من عددها القليل إلا أنها تشكل الجسم الأكبر من العالم. فنرى الخارطة التالية توضح هذا التحول وتوضّح أن حجم وجغرافيا هذه الدول السكاني والمكاني (من حيث المساحة) هو أكبر بكثير من دول حلف وارسو في ظل الحرب الباردة. فنجد أن الدول التي لا تدور في فلك الناتو (باللون الأحمر والبرتقالي) تشكّل أكثر من نصف مساحة العالم، وأكثر من نصف سكان العالم.



خارطة الجغرافيا السياسية للعالم اليوم (الأحمر الدول المعادية للناتو والأبيض الدول المؤيدة)

الوضع الراهن عالمياً:

على الرغم من وضوح الصراع الحالي بين روسيا الاتحادية والمعسكر الغربي، إلا أن العديد من النقاط المحورية في الجغرافيا السياسية العالمية بحاجة إلى المزيد من البحث والتمحيص. فالعلاقات داخل حلف الناتو ليست كلها عسلاً. فهناك خلاف جوهري بين حلف الأنجلوساكسون وحلف أوروبا يصل إلى حد القطيعة:

- فمنذ 2005 بدأت ألمانيا تسعى لتفتح آفاقها الاقتصادية نحو الشرق حيث وقعت اتفاقية مع روسيا لفتح خطوط امداد للغاز الطبيعي جديدة لا تمر من خلال أوكرانيا، وذلك عقب الخلاف بين روسيا وأوكرانيا على السعر التفضيلي للغاز المار عبر أراضيها.

- حاولت ألمانيا خلال العقد الماضي أن تكون بنك أوروبا، وأن تسيطر على السياسات المالية

للاتحاد الأوروبي وذلك لكي تضمن قوة اليورو كعملة أساسية لأوروبا ولكي تتمكن من أن تكون بديل للدولار، وهذا أغضب الولايات المتحدة التي سعت خلال الأعوام الماضية لتحطيم قوة اليورو ليصل بسعر صرفه إلى سعر صرف الدولار، أي إلى معادلة يورو واحد = دولار واحد. وعلى الرغم من أن هذه المعادلة تبدو للبعض على أنها تعود بالفائدة على الصادرات الأوروبية (وهذا صحيح)، إلا أنها تؤثر على قوة رأس المال المالي والتي تعتبر القوة الأساسية في عالم اقتصاد اليوم.

- قد تكون توقعات جورج فريدمان في كتابه «أوروبا: مقدر لها النزاع» «حول الحروب القادمة في أوروبا مثاراً للجدل، ولكنه كتاب فيه شيء من التفكير الأمريكي لأوروبا - أو بالأحرى التفكير الأنجلو-ساكسوني لها. وهذا ما رأيناه بوضوح منذ اعتلاء ديفيد كامرون منصب رئيس الوزراء البريطاني ووعده للشعب البريطاني أن يتم طرح الوحدة مع أوروبا للاستفتاء عام 2017.

- لكن الشيء المثير في توقعات فريدمان هو قوله بأن مجال الخوف الوحيد الذي يجب على الولايات المتحدة أن تخشاه في المرحلة القادمة لا يتمثل بصعود التنين الصيني ولكن في التقارب الممكن بين ألمانيا وروسيا وفي هذه الحالة تكون احتمالات الحرب العالمية الثالثة بصورتها الشاملة قد تحولت إلى واقع لا بد منه بحسب رأيه.

- بخلاف ما يقوله فريدمان، أعتقد أن الحرب العالمية الثالثة قد بدأت. ولكنها نوع من الحروب الجديدة. فهي اندلعت منذ بداية ما يسمى «الربيع العربي» وهدفها الرئيس السيطرة على مصادر الطاقة في العالم. ولكنها تختلف عن الحروب التقليدية بأنها حروب بالوكالة، أو ما أصبح يسمى بالجيل الرابع من الحروب، حيث تقوم الدول المتحاربة باستخدام وسائل مختلفة للحرب، منها خلق نزاعات فرعية في أماكن مختلفة من مناطق النفوذ خصومها في العالم، ومنها ما هو مرتبط بالحرب الاقتصادية، ومنها الحرب الإعلامية وحرب التوقعات.

العدد رقم (36) صدر في 1 أيار عام 2017 للميلاد

- وقد يكون جورج فريدمان نفسه أحد هذه الأدوات التي لا بد من الحذر مما يقوله لأنه قد يحمل السمّ داخل العسل. فعلى سبيل المثال، في مقابلة معه عام 2008، يؤكد فريدمان بأن الولايات المتحدة غير قابلة لأن تُقهر؛ فهي متفوقة عسكرياً، واقتصادها أقوى من اقتصادات الأربع دول التي تليها مجتمعة، وهي تسيطر على محيطات العالم أجمع. لكننا اليوم وبعد أقل من عقد على توقعاته هذه نعرف التالي: أن اقتصاديات دول البركس في حالة نهوض غير عادية، أن الصين شارفت على أن تكون منافساً اقتصادياً للولايات المتحدة، وأن الصناعة العسكرية الروسية عادت لتولد من رماها بقوة وأصبحت اليوم في حالة تنافس شديد مع الولايات المتحدة، فخلال الفترة من 2010 - 2014 بلغت الصادرات الأمريكية من السلاح، من المجموع العالمي، ما مقداره 31% بينما وصلت الروسية منها إلى 27% أي بفارق 4% فقط.

- في الحقيقة فإن دفع الأمور إلى شفا الحرب في أوروبا هو ما دفعت به الولايات المتحدة من خلال تدخلها المباشر في أوكرانيا. فقد دعمت الحركات الفاشية في أوكرانيا والحركات المعادية لروسيا لكي تتمكن من الفوز في الانتخابات، ثم أزكت نار الخلاف بين الأطراف المتنازعة فيها. ولو أن روسيا الاتحادية لم تتحرك سريعاً من خلال الاتصالات المكوكية مع ألمانيا للوصول إلى اتفاق هدنة، من خلال تحركها السريع في القرم لفصلها عن أوكرانيا وإعلان ضمها لروسيا، لكانت واحدة من أهم القواعد العسكرية الروسية قد تمّ تصفيتنا.

- لكنّ الحرب العالمية المستعرة أخذت أكثر من شكل. فخلال 2011 - 2012 حاولت الولايات المتحدة اللعب بأسعار الغاز لكي تؤثر على القدرات الاقتصادية لروسيا، فقامت خلال ذلك العام بضرب أسعار الغاز حتى تدهورت إلى النصف تقريباً. وبالتأكيد فإن الولايات المتحدة لا تحتاج أن تقوم بهذه التصرفات بشكل مباشر، فمن السهل عليها أن تطلب من عملائها في العالم أن يقوموا بالأعمال القذرة عنها ولو ضدّ مصالحهم الاقتصادية. وهذا ما فعلته قطر بالنيابة عن الولايات المتحدة في قضية الغاز. لكن روسيا الاتحادية تمكنت من الصمود وذلك لعاملين؛ الأول حاجة السوق الأوروبية للغاز الروسي، والثاني أن الموانئ الأوروبية لم تكن مهياً بعد لاستقبال الغاز المُسال المصدر من قطر مهما نزل سعره.

- استمرت الحرب وتمّ تعويض حرب الغاز بحرب العقوبات ضد روسيا كنتيجة لضمّ القرم. لكن الاقتصاد الروسي تمكن من الصمود مرة أخرى من خلال تعويض الخسائر بزيادة الصادرات للدول الحليفة وخصوصاً للصين ودول البركس. وكما نعرف فإن الأزمة في أوكرانيا ما زالت على أشدها، ففي حين تحاول فيه ألمانيا التخفيف من حدة الصراع، نجد أن الولايات المتحدة توجّج هذا الصراع من خلال الاستمرار بدعم اليمين المتشدد والتلويح بضم أوكرانيا لحلف الناتو.

- لم تتوقف الحرب عند تلك النقطة، بل تبعتها الحرب المستعرة حول سعر النفط والذي وصل في لحظة ما إلى ما دون الثلاثين دولار، في محاولة لضرب الاقتصاد الروسي، ولكن لم تتمكن هذه السياسة إلا من ضرب حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة⁷.

- بالرغم من الادعاءات التي يسوقها فريدمان حول تميز الولايات المتحدة إلا أنه يتناسى الكثير من عوامل القوة التي تقرضها الجغرافيا السياسية. فهو يقول، على سبيل المثال، بأن نسبة الأرض للسكان في الولايات المتحدة تتفوق على الأرض للسكان في كل من أوروبا والصين وهذا صحيح إذ أنه في الولايات المتحدة لا تزيد الكثافة السكانية عن 38 شخصاً لكل كلم مربع، بينما تزيد في أوروبا عن 120 شخصاً لكل كلم مربع. ولكن فريدمان يغفل المقارنة مع روسيا التي يقل العدد فيها عن 20 فرداً لكل كلم مربع. ويغفل بالتالي عن ذكر أن العامل الديموغرافي قد يكون عاملاً إيجابياً في حالات النمو الاقتصادي، وبالتالي، يلعب العامل الديموغرافي في حالتنا الصين والهند دوراً إيجابياً لصالح البلدين وليس ضدهما، على الأقل ضمن المدى المنظور. ويغفل أن يذكر أن شخصاً من كل ست أشخاص في العالم هو صيني، وأن واحداً من كل سبعة هو هندي. كما يغفل أن يذكر بأن روسيا الاتحادية تشكل سدس مساحة اليابسة في العالم.

7. في مقال جميل يحلل د. عيد الحي زلوم أسباب هبوط أسعار النفط في جريدة الرأي اليوم: <http://www.raialyoun.com/?p=375979> بتاريخ 18\1\2016.

التحليل الاستراتيجي السائد والناجح عن هيمنة النظريات الأوروبية للفكر السياسي، تخبرنا أن دول البركس وبرجوازياته لن تكون أفضل من الأمبريالية المسيطرة حالياً، وأن هذه البرجوازيات عند سيطرتها على العالم ستكون بذات البشاعة للإمبريالية الحالية، أي أنها مسألة وقت ومسألة سيطرة. ولكنني أعتقد أن هذه الرؤية، على الرغم من احتماليتها، محدودة ولا تقدم لنا جميع الاحتمالات الممكنة. فحتى لو أخذنا بالتحليل السائد فإنه من الممكن التمييز بين شكلين من البرجوازية المسيطرة: البرجوازية الصناعية والتي بالرغم من جشعها تحتاج إلى الإنسان لكي تصل إلى تراكم رأسمالها، وبرجوازية رأس المال المالي وهي برجوازية تحترف اللانسانية والبربرية. وفي هذه الحال نستطيع أن نميز بين البرجوازيات الصناعية التي تمثلها دول البركس والتي لها وجه إنساني، ونزعة قومية استقلالية، وبرجوازيات رأس المال المالي المعولم المتوحشة.

الاحتمال الآخر، وهو المرجح بالنسبة لي، أن تكون هذه الدول (دول البركس) تستخدم في تحليلها للسياسة العالمية تفكيراً مختلفاً. وهذا ما يقدمونه هم عن أنفسهم. فهم يقولون إنهم بصدد طرح مشروع تنموي مختلف للعالم. وهم يريدون تقديم نظام مالي بديل يسمح لدول العالم أن تتخلص من إملات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. ولذلك فأول ما حاولوا تقديمه هو حزمة من الإجراءات التي تساعد على هذا التوجه. كما أن دول البركس تؤكد أن شعارها: "لا تفرض على جيرانك ما لا تقبله على نفسك". وقد يكون ما يقولونه عن أنفسهم مجرد دعاية، ولكن لا بد لنا أن نتذكر أن أربعة من هذه الدول الخمس (الهند والصين والبرازيل وجنوب أفريقيا) عانت من الاستعمار ومن السياسات الإمبريالية. وبالتالي فمن المرجح أنها لا تريد لغيرها ما عانت منه يوماً، بينما جزء أساسي من تاريخ الدولة الخامسة، وهي روسيا، هو تاريخ صراعها مع تلك الدول الإمبريالية.

وفي هذا الإطار لا بد من تتبع التطورات الحاسمة في التفكير الروسي في العقدين الماضيين. في عام 1999 قام فلاديمير بوتين بتشكيل مركز بحوث لدراسة السيل التي يمكن معها عودة روسيا الاتحادية لتبوء مكانها المناسب في العالم. ومع نهاية مرحلته الأولى في الحكم كان يتشكل في الفضاء الروسي إعادة تأكيد على كل الرموز التي تعظم من الروح القومية الروسية. وفي هذا الخصوص تقول لنا الدراسات الغربية، مجلة الشؤون السياسية مثلاً، أن أهم المفكرين الذين أثروا في هذا الفضاء هو أيفان أليان وهو فوضوي روسي، بحسب المجلة⁸، وكان معارضاً للثورة البولشفية وتم إبعاده إلى ألمانيا حيث شكل مجموعة "الروس البيض"، وأهم أفكاره هي تبني ديمقراطية خاصة لروسيا تختلف عن الديمقراطية الغربية التي لا تناسب المجتمع الروسي، التأكيد على الحس القومي الروسي بحيث أنه رفض موقف الانقلابيين على السلطة السوفيتية والذين تحالفوا مع قوى أجنبية وكان موقفه يتمثل بأن على الروس أن يقوموا بأنفسهم وبقواهم الذاتية بتغيير الحكم بدون أي تدخل من الخارج، وقد اعتقد بأن تفكيره وموقفه يتقارب مع موقف الاشتراكيين الديمقراطيين الألمان (النازيين) في إعادة أمجاد وقوة بلادهم، والنقطة الأخيرة والأهم والتي كثيراً ما استند إليها بوتين في خطابه السياسي أن روسيا لا يجب أن تتخلى عن تراثها الآسيوي ولا بد لها أن تتجه إلى الشرق لأن الغرب دائماً سيكون عدواً لتطور ونهضة روسيا⁹.

وبغض النظر عن دقة المعلومات المقدمة من مجلة "شؤون خارجية" فإن الأسلوب الذي قدمت به المعلومات غير بريء، فهو يقدم السياسة الروسية وكأنها سياسة "هتلر جديد" لكي يخلق نوعاً من العداوة للسياسة الروسية، وهذا النهج المعادي مستمر في الإعلام الغربي. فها هي صحيفة فاينانشيال تايمز البريطانية تقول بأن رد الفعل الروسي على العقوبات الغربية بوقف الاستيراد من الدول التي وافقت على العقوبات، يشكل ضرراً أكبر على روسيا منه على الغرب¹⁰. مع أن الواقع أثبت، بعد أكثر من عام على فرض العقوبات، وعلى سلسلة الحروب الاقتصادية على روسيا، أن الاقتصاد الروسي كان قادراً على تجاوز كل الضغوط الغربية.

8. <https://www.foreignaffairs.com/articles/russian-federation/2015-09-20/putins-philosopher>

9. لقراءة بعض من كتاباته يمكن العودة إلى هذه الصفحة: <http://souloftheeast.org/tag/ivan-ilyin/> والتي تؤكد على روح الشرق.

10. <http://blogs.ft.com/beyond-brics/2014/08/14/opinion-russia-an-economic-black-hole-for-its-neighbour>

العدد رقم (36) صدر في 1 أيار عام 2017 للميلاد

لكن السياسات الخارجية والداخلية الروسية تبنينا بصورة مختلفة عن تلك التي تريد الولايات المتحدة لنا أن نراها. فهي تشي بأن روسيا الاتحادية تحت إدارة بوتين تمكنت من ملاحقة جذور الفساد ومن دفع البورجوازية الروسية نحو المزيد من التشبث بمصالحها على المستوى المحلي والعالمي، في نزعة قومية واضحة، وإذ تمت إعادة أحياء المشاريع الكبرى للدولة وعلى الأخص الصناعة العسكرية والتي عادت لتنافس على المستوى العالمي من ناحية نسبة المبيعات ومن ناحية التقنية العالية. ونجد أن سياسة ربط مراكز الأبحاث العلمية بالصناعة الوطنية الروسية بدأت تبرز بشكل جلي. كل هذا ساهم في خفض اعتماد الاقتصاد الروسي على بيع الغاز والنفط من أكثر من 50% قبل بوتين إلى مجرد 18% اليوم، حتى لو عزونا نسبة كبيرة من هذا الانخفاض لانتهاء أسعار الطاقة.

أما على الصعيد الدولي فإن سياسة روسيا المعلنة والمتفكدة مع دول البركس في محاربة تدخل الدول الإمبريالية في شؤون الدول المستقلة، وفي دعمها للدول المستقلة في حروبها مع الدول الإمبريالية، جعل من دورها اليوم شبيهاً إلى حد ما مع دور الاتحاد السوفيتي سابقاً – مع الفارق الجوهرى بين الاثنين على صعيد الفكري والمبدئي.

الفكر الحالي للسياسة الروسية يكمن في التفكير المختلف والتوجه نحو الشرق. فروسيا لها شقان أوروبي وأسيوي، ولا يجب أن ترتهن، بحسب التفكير الجديد، للشق الأوروبي. فالشق الأسيوي له تراث وعمق فكري وحضاري لا بد له أن ينعكس على التفكير الحضاري الروسي. وهذا النمط من التفكير سهل كثيراً، بالإضافة لضرورات الجغرافيا السياسية، التقارب الروسي الصيني الذي لم يصل يوماً في تاريخ البلدين إلى التقارب الحالي بينهما. يعتقد البعض أن الصين يمكن تحييدها من خلال الضغط عليها من قبل الولايات المتحدة، على الأخص أنها خلال العقد الأول من الألفية الحالية حاولت شراء الكثير من سندات الخزينة الأمريكية، بالإضافة إلى وجود مخزون هائل من الدولارات في خزينتها. ولكن من يتتبع السياسة النقدية الصينية يعرف أن الصين أدركت أن هذا الخط لن يقربها أكثر من الدخول في نادي رأس المال المالي الدولي، ولذلك شرعت، منذ 2010 بتحويل مخزونها من الدولار إلى ذهب، كما أنها قامت بتوظيف كمية كبيرة من هذا الاحتياطي بمشاريع تنموية في كل من أفريقيا وأمريكا الجنوبية. وبالتالي أصبح تأثير الولايات المتحدة بهذا الخصوص أضعف ولن يؤثر على السياسة الخارجية الصينية ولا على مواقفها الاستراتيجية. كما أن أي تصرف عدواني من الولايات المتحدة، أما على صعيد سندات الخزينة أو على صعيد قيمة الدولار، سيؤثر بشكل أكبر على الاقتصاد الأمريكي نفسه.

روسيا ودول البركس الأخرى تريد أن تنهي أحادية القطبية في العالم، وأن تنتهي سيطرة الدولار على الاقتصاد العالمي. وهذا ما لا تريد الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون حدوثه، لذلك فهم يحاولون أن يقدموا هذه المجموعة أولاً كخطر على السلم العالمي، وثانياً على أنها ليست بالقوة الاقتصادية التي تظهر فيها¹¹، لكن الحقائق الاقتصادية التي لا يمكنهم إنكارها هي أن هذه الدول الخمس هي في حالة صعود اقتصادي، وقد تمكنت خلال العقدين الماضيين من التحول من اقتصادات لها 3% من الاقتصاد العالمي إلى اقتصادات تسيطر على أكثر من 35% من الاقتصاد العالمي، حيث أن الصين منافس أساسي للولايات المتحدة، وحيث الاقتصاد الصيني أكبر من اقتصاديات الاتحاد الأوروبي مجتمعة¹².

انعكاس هذه الأحداث على منطقتنا:

ما زالت رحى الحرب العالمية الثالثة، ببعدها العسكري، تدور على الأرض العربية بشكل أساسي، وما زالت الدول العربية غير مدركة لحجم الحرب وأبعادها.

- ما زال الحقن الطائفي مستمراً، وما زالت الولايات المتحدة وحلفاؤها يحاولون تصوير الحرب المستعرة على أنها حرب بين سنة وشيعة لإخفاء حقيقة أنها حرب عالمية على مصادر الطاقة.
- ما زالت الولايات المتحدة وحلفاؤها، على الرغم من الإدعاء الظاهر بمعاداة داعش، يمولون ويدعمون وييسرون السبل لاستمرار داعش، على الأخص أنها ستكون السبب الظاهر الأول لاستمرار سياسة "الفوضى الخلاقة".
- تستمر الدول العربية التابعة للولايات المتحدة بتنفيذ مخططات الولايات المتحدة للمنطقة على الرغم من أنها مخططات قد تؤدي بتلك الدول إلى الهاوية. فالسعودية ما زالت تساهم في انخفاض أسعار النفط على الرغم من أنها المتضرر الأول من سياسة تخفيض الأسعار. وما زالت تذكي الزيت في سعير الطائفية بالرغم من أنها تستنزف مواردها الاقتصادية في حملتها على اليمن.

11. كما في هذا المقال الجديد في جريدة ذا ستريت: [http://www.thestreet.com/story/13432007/1/how-are-brazil-russia-india-china-south-](http://www.thestreet.com/story/13432007/1/how-are-brazil-russia-india-china-south-africa-brics-doing-amidst-global-economic-turmoil.html)

[africa-brics-doing-amidst-global-economic-turmoil.html](http://www.thestreet.com/story/13432007/1/how-are-brazil-russia-india-china-south-africa-brics-doing-amidst-global-economic-turmoil.html)

12. بحسب تقديرات صندوق النقد الدولي لعام 2015: [http://knoema.com/IMFWEO2015Oct/imf-world-economic-outlook-weo-octo-](http://knoema.com/IMFWEO2015Oct/imf-world-economic-outlook-weo-octo-ber-2015)

[ber-2015](http://knoema.com/IMFWEO2015Oct/imf-world-economic-outlook-weo-octo-ber-2015)

- الحرب ما زالت على أشدها في كل من ليبيا والعراق واليمن وسورية.
- روسيا دخلت بقوة على خط الأزمة في سورية كونها مقتنعة بأن هذه الحرب هي خط الدفاع الأول عنها، لكي لا تتحول الأساليب التي نفذت في المنطقة العربية إلى نجاحات يمكن أن تكرر في خاصرة روسيا الاتحادية، وعلى الأخص في الشيشان ودول الحزام الإسلامي (قرغيزستان وتركمانستان وداغستان وكازاخستان وأوزباكستان وطاجكستان)، والتي انضمت جميعاً إلى الحلف الجديد للدول التي شكلت يوماً الاتحاد السوفيتي، ضمن ما يعرف اليوم بمنظمة الدول الأورو-آسيوية: الأوراسية.
- كان من المتوقع، من وجهة نظر بعض المحللين، أن الاتفاق النووي الإيراني سيفتح المجال لإيران لتعيد بعض من تحالفاتها القديمة مع الغرب، وأن تبدّي المصالح الاقتصادية الأنية على التحالف الاستراتيجي مع حلفائها في البركس الذين دعموها بشكل أساسي خلال الحصار الاقتصادي الناتج عن العقوبات الدولية عليها. والواقع أن ما حدث هو العكس، فقد تعمق التحالف الإيراني مع دول البركس.
- يتم الحديث خلال السنوات الثلاث الماضية عن إعادة إحياء طريق الحرير. هذا المشروع طرحته روسيا وأيدته ودعمته الصين. المشروع يأتي في إطار إعادة ربط اقتصاد منطقة شرق المتوسط مع كل من الصين وروسيا برأ، وهذا المشروع هو ضمن مشروع أكبر لربط العالم بأكثر شبكة برية من القطارات والطرق، وهو مشروع اقترحه الصين وقامت بتمويل أول بوابده في أمريكا الجنوبية (كما أسلفت أعلاه). ويتضمن المشروع بعداً ثقافياً لربط ثقافات الشرق معاً.
- بعد اكتشاف الولايات المتحدة لمخزون كبير من النفط الصخري وحقول النفط وحقول الغاز ضمن أراضيها مما سيضمن تزويدها باحتياجاتها المستقبلية، خلق هذا التحول بعضاً من الإرباك على صعيد التخطيط الاستراتيجي الأمريكي. فمن ناحية تدرك الولايات المتحدة أهمية السيطرة على مصادر الطاقة لبقاء دورها المسيطر في العالم، ولكنها أيضاً تدرك، أو على الأقل يدرك بعض مخططيها الاستراتيجيين، أن الهيمنة الأمريكية على العالم إلى زوال ولا يمكنها أن تبقى على هذه السيطرة، بل أن الاستمرار في السياسة الحالية من الحرب المفتوحة لا يمكن معرفة عقابه النهائية، ويعتقد الكثيرون أن هذه السياسة ستؤدي إلى حرب مباشرة، أي إلى تحول الحرب من شكلها الحالي (الجيل الرابع من الحروب) إلى حرب مفتوحة ومباشرة. ولذلك يعتقد الكثير من المحللين الأمريكيين أن الحل الأمثل للولايات المتحدة لتبقي على تماسكها الداخلي وعلى قوتها لمعارك قادمة في المستقبل هي بالانكفاء على الداخل الأمريكي وتطوير قدراتها لمواجهة التغيرات الحادثة في العالم. إن هذا الاقتراح يعني أن تقلل الولايات المتحدة من تدخلها في العالم وعلى الأخص في المنطقة العربية. على الرغم من وجود عدد من التحاليل التي تشير إلى هذا السيناريو، إلا أن الأحداث على الأرض لا تؤكد بعد بالرغم من وجود إشارات متناقضة حول طبيعة السياسة الأمريكية في المنطقة.
- هناك إدراك عربي خجول لتغيرات الجغرافيا السياسية في العالم والعامل السابق (حول احتمال انكفاء الولايات المتحدة عما تسميه "الشرق الأوسط")، ولكن تصرفات الحكومات العربية في هذا الاتجاه متباينة، بين من يحاول التقرب إلى كل من الصين وروسيا، كما في الحالة المصرية، وبين من يصرّ على إتمام مشروع الفوضى الخلاقة بفتح طرق اتصال مباشر مع الكيان الصهيوني، كما في الحالة السعودية.
- السيناريوهات المستقبلية ما زالت غير واضحة، ولكن ما هو واضح إلى اليوم هو أن روسيا الاتحادية ودول البركس قبلوا التحدي ودخلوا الحرب الكونية من أوسع أبوابها، وهم يدركون أهمية المنطقة لهم وبالتالي سيكون لزاماً عليهم تكثيف جهودهم لضمان مصالحهم في المنطقة العربية. أعتقد أن مصلحة الشعب العربي اليوم، وبغض النظر عن طبيعة نوايا دول البركس، تكمن في التحالف مع دول البركس ومشروعها في إنهاء الهيمنة الامبريالية على العالم، وفي دعم نشوء نظام مالي بديل يعطي دول العالم الفرصة للتخلص من إملاءات صندوق النقد الدولي ومن سياسات الإذعان المفروضة عليها من قبل الولايات المتحدة.

المراجع:

1. Cahn, S. (Ed.), Classics of Modern Political Theory: Machiavelli to Mill, OUP, Oxford 1997.
2. Diamond, L., “Why are there no Arab Democracies”, Journal of Democracy, 21(1), January 2010, pp 93 – 104.
3. Kirisci, K., “Turkey’s “Demonstrative Effect” and the Transformation of the Middle East”, Insight Turkey, 13(2), 2011, pp 33-55.
4. Lakoff, T., “The reality of Muslim Exceptionalism”, Journal of Democracy, 15(4), October 2010, pp 133 – 139.
5. Meisen, P., Renewable Energy Potential of the Middle East, North Africa vs. The Nuclear Development Option, Global Energy Network Institute, October 2007.
6. Rishmawi, M. and T. Morris, Overview of Civil Society in the Arab World, Praxis Paper No. 20, INTRAC, October 2007, from the net <http://www.intrac.org/data/files/resources/421/Praxis-Paper-20-Overview-of-Civil-Society-in-the-Arab-World.pdf>.
7. Stepan, A. and G. Robertson, “An “Arab” more than “Muslim” Electoral Gap”, Journal of Democracy, 14(3), July 2003, pp 31 – 44.
8. Vasconcelos, A. (Ed.), The Arab Democratic Wave: How can the EU Seize the Moment, EU Institute for Security Studies, Report No 9, Paris March 2011.
9. Sabine Dammasch, The System of Bretton Wood: A Lesson from History, <http://www.hiddenmysteries.org/money/policy/b-woods.pdf>.
10. William R. Clark, Petrodollar Warfare, Oil, Iraq and the Future of Dollar, New Society Publisher, Canada 2005.
11. WHO, Understanding Civil Society, Discussion Paper No. 2 (CSI/2002/P2), WHO, 2002, P 4.
12. روبرت دريفوس، لعبة الشيطان، ترجمة: أشرف رفيق، مركز دراسات الإسلام والغرب، القاهرة 2010.
13. غريغوري ولبيرت، تغيير فنزويلا بأخذ السلطة: تاريخ حكومة شافيز وسياساتها، ت: بسام أبو غزالة، دار ورد، عمان 2013.
14. Layne, C. and B. Thayer, American Empire: A Debate, Routledge, New York, 2006.
15. <http://knoema.com/IMFWEO2015Oct/imf-world-economic-outlook-weo-october-2015>.
16. <http://www.thestreet.com/story/13432007/1/how-are-brazil-russia-india-china-south-africa-brics-doing-amidst-global-economic-turmoil.html>.
17. [/http://blogs.ft.com/beyond-brics/2014/08/14/opinion-russia-an-economic-black-hole-for-its-neighbours](http://blogs.ft.com/beyond-brics/2014/08/14/opinion-russia-an-economic-black-hole-for-its-neighbours).
18. [/http://souloftheeast.org/tag/ivan-ilyin](http://souloftheeast.org/tag/ivan-ilyin).
19. Barbashin, A and H. Thoburn, Putin Philosopher, Foreign Affairs, Sep. 20th 2015 from the internet: <https://www.foreignaffairs.com/articles/russian-federation/2015-09-20/putins-philosopher>.
20. د. عبد القادر زلوم <http://www.raialyoum.com/?p=375979>.
21. https://www.youtube.com/watch?v=QeLu_yyz3tc.
- 22.

قراءة في كتاب «العقل العربي في القرآن» (1) - حد الكلام ومكونات النص كما يفهما العرب

محمد العملة

ينقل أبو هلال العسكري في كتابه «الصناعتين» حكايةً دارت بين الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان والشاعر ابن قيس الرقيّات، مفادها أن الشاعر امتدح الخليفة فقال: «يتألق التاج فوق مفرقه ... على جبين كآته الذهب»
لكن ابن مروان غضب عند سماع بيت المديح هذا مجيباً ابن قيس أنه قال في مصعب بن الزبير:
«إنما مصعبٌ شهاب من الله ... تجلّت عن وجهه الظّماء»
ثم قال له: «أعطيتَه من المدح ما يكشف الغم وجلاء الظلم، وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه، وهو اعتدال التاج فوق جبينني الذي هو كالذهب في النضارة!»

يورد الأستاذ «سعد كموني» في كتابه «العقل العربي في القرآن» الحكاية السابقة للكشف عن العلاقة بين مبدع النص -أو قائله- ومتلقّي النص ومكونات النص نفسه، ويرسم من خلال الحكاية مجموعة دلالات أعانته في موضوع كتابه؛ إذ يشرح فيه العلاقة بين الإنسان واللغة عموماً، وتأثير الزمان والمكان والمجتمع على تجارب المرء نفسه وبالتالي النص الذي يبده الإنسان، منطلقاً بعد ذلك إلى تفصيل ما يعنيه العرب بالكلام والنص ومكوناتهما، وعلاقتهما بالعقل، كاشفاً بعدها دلالة مفردة «العقل» عند العرب وكيف تلقّاهم القوم في نصوص الشعر والقرآن، منتجين النص بذلك من خلال أفهامهم لا من خلال مبدع النص أو قائله.

ثم يخصص الكاتب باقي فصول الكتاب للحديث عن العقل عند العرب واهتمامات العقل العربي، والعلاقة بين القرآن من جهة وبين الدين والأبواء والنظام الاجتماعي من جهة أخرى؛ للوقوف على ملامح العقل العربي المُخاطب في السياق القرآني.

معظم العناصر المكوّنة للكلام معقولة في أذهاننا وإن لم تكن مدوّنة أمام أبصارنا، فنحن نقرأ الكلمة كما نعرفها لا كما هي مدوّنة، والكلام قبل كل شيء وسيلة تفاهم تفترض وجود طرفين، يتم الكلام بينهما على شكل علامات أو ترميز ما، وهذه العلامات قد تكون صوتية أو غير صوتية، فسيبويه يرى أن الكلام لا يكون إلا أصواتاً تامّة مفيدة، ويزيد على ذلك أنه يفرّق بين «الكلام» وبين «القول»؛ فالكلام هو الجملة التي تعطي معنى مفيداً، أما القول فهو الألفاظ المفردة التي يُبنى منها الكلام.

عند الفيروز أبادي، الكلام هو القول أو ما كان مكتفياً بنفسه -تاماً أو ناقصاً-، لكن ابن جني في كتابه الخصائص يصنّف الكلام على أنه كل لفظ استقلّ بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه.

يظهر لنا أن المرجعية لوضع حدّ - أي تعريف- مناسب للكلام تتأرجح بين تمامه أو نقصه، ويزداد الاختلاف عند علماء الكلام على اختلاف مدارسهم، فهو عند الأشاعرة -أهل السنة والجماعة- المعنى الذي يحصله المتلقّي من خلال معاينة صورتيه السمعية والبصرية «الشفهية والمكتوبة»، وهم يرون أن الكلمات تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، أي أن الصورتين الشفهية والمكتوبة ليستا إلا مظهرًا لمعنى كامن في النفس.

أمّا أهل التشييع والمعتزلة فيعرّفون الكلام أنه ما انتظم من حرفين فأكثر، من الحروف المعقولة على شكل أصوات مرتبة على نحو مختار، لإنتاج معنى مقصود.

العدد رقم (36) صدر في 1 أيار عام 2017 للميلاد

يورد الجاحظ - وهو من المعتزلة - في مؤلفه «البيان والتبيين» عند تعريفه لدلالة «البيان» ما له صلةً بحديثنا، فيقول: «اسمٌ جامعٌ لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع».

يتضح من تعريف الجاحظ للبيان ووصف الطرفين بالقائل والسامع أنه يعني الكلام المسموع التام، لكنه يضيف في كتابه ما يجعلنا أمام تعريف أوسع للبيان، إذ يرى أن العناصر المكونة له تتضمن اللفظ، الإشارة، العقد، الخط والحال التي تسمى نصبة.

إنما أمام عناصر بعضها لا يحتمل أن يكون علامات صوتية، وبحساب منطقي يكون الكلام أو البيان عند الجاحظ مشتملاً على علامات صوتية وغير صوتية. ابن هشام يستخدم تعريف الجاحظ للكلام ويقدم دليلاً على العناصر المكونة له كما أوردها الجاحظ، فهو يستشهد بالسياق القرآني: «آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيامٍ إلا رمزاً» كدليل على أن الإشارة غير الصوتية هي من عناصر الكلام أو البيان.

بعض النظريات الحديثة لا تأخذ بمرجعية التمام والنقصان في تعريفها للكلام، بل تنطلق من مرجعية صورة النص، فهو في حالته الشفهية المسموعة مختلف عن الصورة البصرية المكتوبة، فالحالة الأولى تمثيل لمكامن الفكر، أما الثانية فتمثيل للحالة الأولى.

الكلام على اختلاف علاماته هو المكوّن الأصل لأبي نصّ كان، وهذا يدفعني للتساؤل، ما الذي يميز نصّاً عن آخر؟ الجواب بشكله المجرد يحملنا للبحث عن مكونات النص نفسه التي صنعت الكلام.

عند فهمنا لأي نصّ كان، نقوم في العادة باستخدام المعجم لبيان معنى كل كلمة والعودة بها إلى مرجعها في الرؤية الأولى التي استُخدمت فيها، للوقوف على دلالتها وبالتالي فهمها ضمن سياق النص المراد بيانه.

انتقال المفردة من المعجم إلى النصّ تجد لها جذوراً في استخدامها الأول لها، مكتسبة شيئاً من سماتها في الزمن الذي قيلت فيه، وأي كلمة هي جزء من الترميز المسمّى «لغة»، وهو نتاج خبرة أو تجربة جماعية في زمان ومكان محددين أنتجت هذه المفردة أو تلك. تجارب الإنسان في مكان وزمن ضمن مجتمع معين هي مكونات النص، ولا نستطيع فصل الإنسان عن أي من هذه العناصر المتداخلة في تجاربه، وهنا يطرح «سعد كموني» سؤالاً مهماً بقوله: «إذا كانت التجارب هي المرجع لأي نصّ بشري، فالعناصر المكونة لمرجع التجارب تشكّل المرجع الحتمي للغة. فهل تتماثل اللغة مع مرجعها؟»

للإجابة على السؤال، سنأخذ عناصر مرجعية التجارب بشيء من التفصيل:

1. المكان: إنّ مصالح الإنسان تتغير وتتطور ومعها تتبدل نظرتنا للنظام الكوني المحيط به (المكان)، فالشمس مثلاً ككيان موضوعي تعامل معها الإنسان سابقاً على أنها آلهة، ومع تغيير مصالحه تغير تعريفها لها على الرغم أنه لم يطرأ عليها تغيير في ذاتها كشمس. بشكل أعم، فهمت الجماعات الكون كما بدا لها في أذهانها وتعاملها معه، فأنتجت له تعريفاً مختلفاً عن غيره عند جماعات أخرى، أو بعبارة حازم القرطاجني: «المعاني تتحصل في الأذهان عن الأمور الموجودة في الأعيان».

فالعلاقة بين الإنسان والمكان متبادلة، وكلاهما بُعدٌ من أبعاد الآخر، فالإنسان العربي تكيف مع المكان مثلاً بقحط الصحراء وقسوتها معتمداً على الرعي الذي شكل تكوينات قبلية ارتكزت في بنائها على ثقافة الغزو، لتحقيق السقف الأعلى الذي يمكن تحقيقه وهو المروءة التي عبر عنها الإنسان العربي في شعره ونصوصه، وطالما أن الإنسان هو لغته فإن اللغة بعد حقيقي من أبعاد المكان.

2. الزمان: إن قلنا بأن المكان له وجوده الموضوعي الذي يسمح لك بالذهاب والإياب، فإن الزمان لا يملك هذه الميزة، ومع ذلك تعامل الإنسان مع الزمان على أنه كائن فاعل ومؤثر من الناحية الدلالية لا من الناحية الفيزيائية المادية؛ إذ يريد «سعد كموني» في كتابه أن يتعرّض لعلاقة الزمان مع الإنسان والمكان لا أن يبحث في كنهه وحقيقته.

3. يرى "سعد كموني" أن المكان ضحية من ضحايا الزمن، فالصحراء -مثلاً- تمثيل على أفاعيل الزمن بالمكان الذي كانت تسميه العرب "الفتح"، تدليلاً على خصوبته ومياهه وتغيّر حاله مع مرور الوقت، والشعر العربي زاخرٌ بأمثلة مثل: (عض الزمان، ريب الزمان، نوائب الدهر، غدر الزمان) تجعل من الزمان فاعلاً سلبياً على المكان والإنسان من الصعب مواجهته. إنّ التعامل مع الزمان ككائن فاعل يقود المرء لاستحضار الماضي لكن بشكل انتخابي ومنتقى تحدده الحاجة في الزمن الحاضر، أمّا المستقبل ففضاء لم يمسه الإنسان بعد لكنه يقع في مخيلته وتوقعاته، وكلتا الحالتين ترسمان ملامح إنسانية الإنسان التي يسهم الزمان في تشكيلها، ويُعبّر عنها بنصوص، إن حولنا تجربتها من إطارها الزماني، فإننا نجردها من مبررها التاريخي.

4. المجتمع: في اللغة هو موضع الاجتماع، واصطلاحاً هو جماعة من الأفراد يجمعهم غرضٌ واحد. الغرض الواحد يبني إجماعاً لدى الجماعة على موقفٍ موحدٍ من الزمان والمكان، ويشكّل مرجعية الاتصال بين العناصر المكونة للمجتمع، وبحسب ما يقول مؤلف كتاب "العقل العربي في القرآن"، فإن الغرض الواحد ينطوي على الحاجات والعلاقات والعناصر المادية من جهة، وعلى السلوك الذهني والحركي إزاء هذه الحاجات والعلاقات والعناصر المادية من جهة أخرى. ويتابع: "يمكننا بالتالي أن نلاحظ أنّ المجتمع ليس أفراداً متجاورين اعتباراً، بل هناك أمرٌ متجدد يقتضي اجتماعهم، بل هم على هوية تولّفها التجربة السلوكية العريقة التي نظمت هؤلاء الأفراد وحوّلتهم إلى عناصر بنيوية تتبادل التأثير فيما بينها لتنتج البنية على الدوام... وأظنّ أسامة بن منقذ كان يعبر عن هذه المسألة إذ يقول: "كلما تقاربت الديار تقاربت الأفكار"؛ فتقارب الأفكار هو مظهر العقد الاجتماعي الذي فرضته الديار المتقاربة".

يتشكل المجتمع من تفاعل الأفراد لا من أعدادهم، وتواصلهم الكلامي جزء من تفاعلهم، لذلك يصف أنس فريجة في كتابه "نظريات في اللغة"، أن اللغة ظاهرة اجتماعية ثقافية مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية اكتسبت عن طريق الاختيار معاني مقررة في الذهن، وبها تستطيع الجماعة أن تتفاعل وتتفاهم، وإن كان تفاعل أجزاء النص يعطي المعنى للنص، فإن مرجعية أجزاء النص هي في تفاعل أفراد المجتمع. التواصل اللساني حدث اجتماعي، ولا يمكن فهمه أو ترجمته من لغة مختلفة من دون معرفة أبنية الكلام وعادات القوم وأسباب تفاهمهم بحسب شروط الجاحظ.

بعد أن علمنا حدّ الكلام ومكونات النص ومرجعياته، لا بدّ أن نتساءل كيف يمكن إثبات المعنى الفلاني لأي لفظٍ محدد؟ يعتمد ذلك على المتلقي نفسه "مستقبل النص"، فإذا كانت المعاني خاصّة مبدع النصّ أو قائله، فإن الألفاظ ألفاظ المتلقي، فهذا الأخير له سلطة على النص تبدأ مع بدايات التفكير عند المبدع وتخيره للألفاظ لإيصال أفكار نصوصه إلى المتلقي، والخطاب محدود بحدود المُخاطب، أي أن المتلقي هو الذي ينتج النص بناءً على ما يفهمه ذهنه من ألفاظ ينتقها مبدع النص سواء كانت الألفاظ منتجة للدلالة كما عند الأشاعرة، أو أنّ ترتيب الألفاظ ينتج الدلالة كما عند المعتزلة.

إن هذا الكلام يقودنا نحو استنتاجات مهمة:

- أنّ متلقي النص ليس هو المُخاطب المباشر فحسب، بل المعنى بالنص في أي زمان ومكان ضمن أي مجتمع.
- أنّ اختيار الألفاظ عند المبدع ينم عن احتكاك مباشر بالزمان والمكان والمجتمع وهو تمثيلٌ لتجربة حياتية منمّسة.
- أنّ الألفاظ بانتقالها عبر الزمان والمكان تكتسب دلالات جديدة لم تكن لها، وتفقد دلالات كانت عليها في السابق، بما يعنيه هذا من انزياح معاني بعض الألفاظ، بل موتها إذا لم تتوفر لها المرونة الكافية لاكتساب دلالات جديدة نتيجة انعدام الزمان والمكان اللذين يقتضيان بقاءها مستخدمة.
- أنّ المتلقي هو منتج النص سواء كان حاضراً في ذهن المبدع أم يفصله عنه زمان ومكان بعيدان.

عودةً إلى حكايتنا التي غضب فيها الخليفة من مادحه، لنستشف منها مجموعة دلالات:

1. أن امتداح الشاعر لعبد الملك بن مروان ينطوي على معرفته المسبقة بما يرضي الملوك من اعتدال التيجان فوق رؤوسهم ومفخرتهم بذلك، ومرجعية الشاعر في ذلك هي مجموعة التجارب المتكوّنة في ذهنه عنهم.

2. أنّ احتجاج عبد الملك بن مروان على الشاعر يعود إلى معرفته بما يفخر به العرب، فهو أيضاً من خلال تجاربه والواقع الذي عاشه يعلم أنّ المجتمع الذي يحكمه تشكّل بعد صراع مع السلوك القبلي الممثل بالوثنية التي كانت تمجّد التيجان، وانتهى بأن يكون الملك لله وحده، فالمفخرة كما يعلمها هي مقدار ارتباطه بالله. والأمر الآخر الذي أثار احتجاجه أنه يعلم أنّ ابن قيس الرقيّات كان محازباً لمصعب بن الزبير في صراعهما على من يملك أمر المسلمين، قبل أن تؤول مقاليد الحكم لبني أمية، أي أن الشاعر المعارض لبني أمية يتملّقه عندما يمدحه.
3. أن الشاعر في امتداحه لمصعب بن الزبير يعلم ما يرضي المؤمنين، فيصِفُه بالشهاب الكاشف للغم والظلام، وهو مما يفخر به المؤمنون؛ فالشاعر يستمد معرفته هنا من معيار التجارب الذي يحكم فيه على المؤمنين ومخالفهم.
4. أن فئة من الناس ترى "خلافة" بني أمية مُلكاً عضوضاً، وفي بيت المديح تأكيد لهذه الصفة التي غضب لأجلها عبد الملك بن مروان، وما تألق التاج في البيت إلا تأكيد في المبالغة على سلوك الملوك.
5. أن عبد الملك الذي ألقي عليه بيت الشعر لا يريد أن يكون عبد الملك الذي في ذهن الشاعر، أي أن منتج النص هو ذلك الذي في ذهن الشاعر.

كلاهما مما يظهر من أحداث القصة يحملان نفس الموقف من الملوك لاشتراكهما في الزمان والمكان والمجتمع بوصفها مكونات مرجعية للنص، وأصبح مفهوماً الآن سبب غضب عبد الملك بن مروان من البيت الممدوح فيه، فإيصال الدلالة تمّ لأن كلا الطرفين يعتمد نفس المرجعية في إبداع اللفظ وفهم المعنى، وعلى كل حال تبقى النصوص عند العرب -خصوصاً في الشعر- عصيّة بطبيعتها، فمن الصعب تقويلها ما لم تقل، ومن الصعب لها أن تتخلى عن ترتيب ألفاظها التي وظفها لها المبدع بمقتضى ما أراد إيصاله من دلالة، لكن النصوص متجددة بتطور الوعي واختلاف القراءة لها، أي بما يمكن للقارئ أن يعقله منها.

يتبع..

الحس القبلي كحاجزٍ أمام تقدم المجتمع العربي

علي بابل

التهميش التاريخي الذي تعرّضت له الجماهير العربية منذ بدايات القرن العاشر الميلادي لم يأخذ مفاعيله العملية بشكل حقيقي سوى في القرن السادس عشر ميلادي، أي بعد معركة مرج دابق وما ترتب عليها من سيطرة العرق التركي الهمجي أو الرعاة الترك على بلاد الشام ومصر وأغلب الأرض العربية. فبعد تهيمش اقتصادي وسياسي وعسكري للعرق العربي من قِبَل رأس الدولة العباسية في فترتها الثانية والثالثة، أخذ الفرد العربي النخبوي في أغلب الأحيان على عاتقه الخوض في حلّ المشاكل الاجتماعية أو الإفرازات التي يراها بشكل مباشر ولم يحاول أو لم يقدر أن يجد حلولاً للتناقضات الأهم أو التناقض الرئيسي في البنية الاجتماعية العربية، أي أنه كان يبحث عن حلول لإفرازات التناقض الرئيسي الذي يعاني منه الفرد العربي.

أهمّ هذه التناقضات هو التناقض الذي تمثّل في سيطرة القوميات الأخرى على البنية الفوقية للمجتمع العربي «السلطة»، والثاني، وهو الأساس، وهو التناقض الذي أخذ شكل صيرورة تاريخية بشكلٍ أو بآخر، ألا وهي التركيبية الاجتماعية للمجتمع العربي المتمثلة بالقبليّة والجهوية والاعتزاز بالنسب الذي أبعد الفرد العربي، وبالتالي الجماعة ككل، عن مفهوم الدولة. لذلك لم نرَ

أمثال ابن خلدون سوى في القرن الرابع عشر ميلادي، وفي المغرب العربي، أي بعيداً عن مركز الخلافة العباسية، بالرغم من أن التطور الاجتماعي والتاريخي للأمة العربية تطلب عشرات من ابن خلدون قبل ذلك بقرون! وإن خرج من تحدّث عن هذه المشكلة أو مشكلة العقل العربي بشكلٍ عام كان إما أن يحاصر أو يقتل بطريقة أو أخرى والأسهل هو تكفيره وإخراجه من الدين!

إنّ التطور العلمي والأدبي في المجتمعات العربية في بغداد، القيروان، قرطبة وغرناطة كان تطوراً طبيعياً لحضارة أصيلة متمدّنة لها جذورها في التاريخ، إلا أنّ الغريب هو أنّ هذه الحضارة التي صنّعت بيت الحكمة في بغداد والقيروان وقرطبة لم تستطع القضاء على النزعة القبليّة والجهوية بالرغم من أنها مثلت تناقضاً حاداً في مجتمع متمدّن ذي طابع اقتصادي متطور تجارياً وجرّافياً. هذا التناقض الذي أدّى مثلاً إلى تدمير مدينة فاس أكثر من مرة وقتل آلاف الضحايا بسبب الصراع بين شطري المدينة «عدوة الأندلسيين» و«عدوة القرويين».

إنّ وجود قوميات أخرى في رأس السلطة هو نتيجة بدئية للتناقض الذي تمثّل في طبيعة التركيبية الاجتماعية للمجتمع العربي، الذي تمثّل في خطأ في ترتيب الأولويات للمجتمع العربي أو عدم إدراك العقل العربي لهذه الأولويات سوى عند قلة قليلة؛ بني حمدان في حلب مثلاً. فبدل أن يكون شعار الوطن أولاً، كانت القبيلة أو العائلة أولاً، وبالتالي يمكن إسقاط هذا الخطأ في ترتيب الأولويات على كافة المناحي الأخرى للعملية الاجتماعية في المجتمعات العربية.

ومن هنا كان تقسيم المجتمع العربي إلى حضّر وبدو، والحضّر بين فلاحين وأهل المدينة، والبدو بين رعاة «Pastoralism» وبدو «Nomads»، والمدينة إلى حارات، والقرى إلى إقطاعات، والموانئ إلى عصابات، والحرفة إلى مشيخات، والمسجد إلى حلقات، والمرقد إلى حوزات، وهنا أصبح «العرب عزّبان»....

وبالرغم من أنّ هذه التقسيمات لها عوامل اقتصادية بحتة إلا أن العامل الاجتماعي كان له دور أساسي في تثبيت وتسهيل حدوث مثل هذه التقسيمات التي قسّمت العقل العربي من داخله بحيث تخلى عن «عمليته» في التعامل مع الظروف الحياتية التي واجهها خلال تاريخه الطويل، وتحوّل إلى عقل جامد لم يقدر على مواجهة الهجمات المتكررة والطويلة من قبل القوميات الأخرى.

لا يصحّ إنكار التأثير الذي سببته الجغرافيا الصحراوية وشبه الصحراوية على العقل العربي تاريخياً، ولا يستطيع أحدٌ إنكار أن طول تاريخ الأمة العربية في بلاد الشام والعراق ومصر تحديداً، وموقعها الجغرافي بكل تأكيد أثر بشكل أوبآخر في طبيعة تشكّل الحاضر العربي. فبعد سقوط بابل ٥٣٩ قبل الميلاد، لم يستطع العربي المقاومة سياسياً وعسكرياً وأن يحافظ على وجوده السياسي سوى عبر الدول والممالك الصحراوية وشبه الصحراوية إن في تدمر أو حضر والبتراء ومكة. كما أنّ خروج العرب من الجزيرة العربية لإتمام عملية التحرير والتوحيد العربية لكل الأرض العربية حمل معه بعضاً من صفات الصحراء القاسية التي يخطئ من يظن أنها ذهبت مع استقرار الحكم العربي خلال القرنين الأول والثاني الهجري.

على سبيل المثال، أخذ تخطيط المدن العربية الإسلامية الانطلاق من المسجد كمركز محوري للحى والمدينة وتوسعتها، وأصبحت المدن العربية عبارة عن أسواق ومنازل وطرق تنطلق أساساً من المسجد كنقطة انطلاق مركزية لتخطيط المدينة. وأخذت قطائع هذه المدن الشكل القبلي في أغلبها «الفسطاط، الفيروان». وبالرغم من أن العرب الخارجين من صحراء الجزيرة العربية لم يكونوا «بدو» كما يظن البعض فهم حضر أهل مدينة من مكة إلى الطائف والفاو، ولكنّ الإرث القبلي والصراعات بين القبائل هي التي نُقلت من الصحراء لباقي أرجاء الوطن العربي. هذا الصراع أخذ مع مرور الزمن، وزيادة أطماع القوميات الأخرى وتبلور وعيها وأطماعها في الحلول محلّ العرق العربي في السلطة والسيطرة، بالحلول محلّ الشعور القومي والوطني خصوصاً في ظل الاستقرار العربي وتوسع الإمبراطورية العربية شرقاً وغرباً ومع زيادة التناقضات الاقتصادية في ظلّ حكم العباسيين وجنودهم الأتراك.

إنّ المهام التاريخية الكبرى التي يتحمّلها المجتمع العربي والعرق العربي بلا أي مغالاة بسبب موقع وطنه الجغرافي وتاريخه الطويل يجعله أمام خيارات صعبة وعمل تراكمي ونوعي صعب جداً. هذا العمل الصعب يحتاج إلى مراجعة ذاتية لكل المجتمع العربي والتصالح مع نفسه، والاعتراف بأن القادم أصعب والمواجهة القادمة هي أولاً مع الذات والعقل العربي الذي يحتاج إلى نفض الغبار التركي عن سطحه لكي يعود للعمل بشكل دياكتيني دقيق، فهو قادر على حمل هذه المهام بالرغم من صعوبتها. والتجربة الحديثة لمحمد علي باشا وجمال عبد الناصر مثال واضح وصريح للقدرات العربية التي يمكن توظيفها في مواجهة الواقع.

إنّ الفكر الطائفي لم يستطع الاستقرار والانتصار في أي من مواجهاته التاريخية في التاريخ العربي، فالخوارج مثلاً، رغم كل الجراح التي سببها لكل الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه، انهزموا في النهاية. وكذلك دولة العبيديين في مصر وشمال إفريقيا. وها هي دول الرجعية العربية تتساقط بشكل بطيء نتيجة «الجيتو» التي حشرت نفسها داخله. لكن، لكي يكون في مقابل سقوط هذه الرجعات انتصار للمجتمع العربي يجب أن يتشكل في مقابلها محور تقدمي عروبي، وبالضرورة وحدوي، لكيلا تكون نتائج هزيمة الرجعية هي سيطرة رجعات أخرى أو قوميات أخرى لم نرّ تحت احتلالها سوى حارات وزعامات وتخلف. هذا المحور الذي سيكون نتاج طليعة جماهيرية كفرت بالواقع المفروض فزحاً على أمتها، يجب أن يعي ماضيه بكل ما فيه من تفاصيل دقيقة غيّبت عن ذاكرته الجمعية، ويجب أن يواجه أعداء الأمة في الداخل والخارج، كما عليه أن يكون قادراً على توجيه الجماهير المتخلف وعيها والغارقة في أحوال القبلية التي ستكون دائماً هي الحربة التي سيفاتل بها ولكن في نفس الوقت هي السكين التي سيُنحر فيها إن لم يستطع توجيهها.

شخصية العدد: الجريح والأسير والشهيد سمير القنطار

نسرين الصغير

ولد سمير القنطار في عبيه إحدى قرى محافظة جبل لبنان في 20 تموز 1962، واستشهد في دمشق يوم 19 كانون الأول 2015.

نال القنطار لقب عميد الأسرى اللبنانيين والعرب بعد قضائه ثلاثين عاماً في سجون الاحتلال الصهيوني، وكان قد حكم عليه بالسجن المؤبد خمس مرات، إضافة إلى سبع وأربعين سنة وذلك في العام 1980 وهو ما يزال في السابعة عشرة من عمره.

لماذا اعتُقل القنطار؟

في 22 نيسان، 1979 عاهد القنطار ابن السادسة عشر عاماً، مع ثلاثة من رفاقه هم عبد المجيد أصلان، مهنا المؤيد، أحمد الأبرص، عاهدوا أنفسهم على تنفيذ عملية عسكرية ضد العدو الصهيوني أطلقوا عليها اسم الرئيس القومي العربي المصري الراحل جمال عبد الناصر، فانطلقوا من شاطئ صور جنوب لبنان بزورق مطاطي صغير الحجم مخترقين ترسانة الأسلحة الصهيونية وراداراتها.

الوجهة كانت مدينة نهاريا الساحلية شمال فلسطين العربية المحتلة، والهدف كان أسر عالم الذرة الصهيوني دان هاران. شرعت المجموعة في تنفيذ عملية الأسر وهدفها اقتياد هاران إلى سواحل صور اللبنانية لمبادلتة مع أسرى فلسطينيين ولبنانيين.

استشهد خلال العملية رفيق القنطار عبد المجيد ومهنا بعد تبادل لإطلاق النار، وأصيب المناضل البطل القنطار بخمس رصاصات استقرت إحداها في رنته قبل اعتقاله ورفيقه أحمد الأبرص الذي أفرج عنه في 21 أيار 1985 في إطار صفقة تبادل الأسرى بين الكيان الصهيوني والجهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة.

رافق البطل في سجون الاحتلال أسرى عرب وفلسطينيون، أبرزهم الشهيد فتحي الشقاقي والشهيد الشيخ أحمد ياسين والمناضل أحمد سعادات. ارتبط اسم القنطار باسم السيدة أم جبر وشاح التي دأبت على زيارته، والتي أصبح يُعرف لاحقاً بأنها أمه بالتبني. كان القنطار زميل ابنها جبر في الأسر لمدة خمسة عشر عاماً، وهي من مخيم اليريج في قطاع غزة. وكانت أم جبر تُحاول أن تخفف عن القنطار حرمان زيارة أهله المباشرين، حيث أن اللبنانيين متمسكون بمقاطعة الكيان الصهيوني حتى هذه اللحظة، وبالتالي لا يمكن إيجاد أي وسيلة لرؤية أهل القنطار له، سوى عملية تبادل للأسرى، ليصل القنطار بذلك لأرض وطنه.

خلال اعتقاله كان طموح القنطار حدوده السماء؛ فلم يرضخ للضغوط الصهيونية في المعتقل، وقام بالتسجيل في جامعة تل أبيب المفتوحة بطريقة التعلم عن بعد، وحصل على شهادة البكالوريوس عام 1998 في الأدبيات والعلوم الاجتماعية.

العدد رقم (36) صدر في 1 أيار عام 2017 للميلاد

في ١٦ تموز ٢٠٠٨ تمّ الإفراج عن القنطار ضمن صفقة تبادل للأسرى بين حزب الله والصهاينة، والتي تمّ بموجبها الإفراج عنه وأربعة أسرى لبنانيين من أبطال حزب الله وهم (خضر زيدان وماهر كوراني ومحمد سرور وحسين سليمان)، ممن أسروا إبان العمليات الحربية لحرب تموز عام ٢٠٠٦، وضمت الصفقة جثامين ١٩٩ شهيداً عربياً مقابل تسليم حزب الله لجثث جنديين صهاينة تمّ قتلهم في عملية الوعد الصادق في تموز عام ٢٠٠٦. استقبل القنطار ورفاقه استقبال الأبطال في مطار بيروت الدولي، وأقام حزب الله احتفالاً كبيراً للمحررين بدأ في منطقة الناقورة قرب الحدود مع الكيان الصهيوني واستكمل بمهرجان ضخم في ملعب الرابية في الضاحية الجنوبية ألقى فيه الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، سيد المقاومة، كلمة ترحيب بالمحررين، كما ألقى سمير قنطار كلمة قال فيها:



لقد عدتُ اليوم من فلسطين وفلسطين هي الأعلى على قلوبنا جميعاً، لكن صدقوني لم أعد إلا لكي أعود لفلسطين، وإن شاء الله أعد أهلي وأحبائي وأعزائي في فلسطين أننا عائدون لفلسطين، أنا وإخواني المجاهدين في المقاومة الإسلامية الباسلة، وأحمل للأخوة في فلسطين تحيات ١١٥٠٠ أسير وأسيرة في السجون الصهيونية.

هنا وُلد القنطار من جديد، لكنه وُلد في روحه الثائرة الأولى نفسها لا بل وأكثر، ففي يوم خروجه عاهد فلسطين بالعودة وبمقاومة المحتل، وليصبح بعد سنوات من الإفراج عنه، قائد المقاومة السورية لتحرير الجولان، التي قامت بعدد من العمليات في قرى ومحافظات الجولان، ولذلك استمرّ العدو الصهيوني بمحاولة استهدافه واغتياله تكراراً وخصوصاً خلال أشهره الأخيرة.

استشهاده:

استشهد سمير القنطار ومساعدته فرحان الشعلان بغارة صهيونية على منزلٍ يرتاده في جرمانا بدمشق فجر يوم ١٩ كانون الأول ٢٠١٥.

سمير القنطار مثالٌ ونموذجٌ للمناضل الحقيقي، حيث بدأ حياته منذاً لعملية بطولية، ثم جريحاً فأسيراً، وعاداً للنضال، ثم نال أعلى مرتبة في النضال وهي الشهادة على أرض دمشق التي تواجه أكبر عدو في معركة مستمرة منذ أكثر من ست سنوات، وقد أتى استشهاده تنويجاً لمسيرة نضالية حافلة، ولأنموذج قومي جذري يفترض أن يكون هو القاعدة، لا الشواذ، فالمعركة ضدّ العدو الصهيوني هي امتداد طبيعي للمعركة ضدّ التكفيريين، والعكس بالعكس، ومن حزنوا، وفرحوا، على استشهاد القنطار وصحبه أمة واحدة، كما التكفيريون وحلفاؤهم والصهاينة أمة واحدة.

كان القنطار نموذجاً في حياته ومماته قومياً عربياً راسخاً من لبنان إلى فلسطين إلى سورية، ومناهضاً للعدو الصهيوني، وملتزماً بنهج البندقية ومنحازاً للمقاومة بالسلاح منذ البداية حتى النهاية. لقد استشهد، لكنه لم يمت.

الصفحة الثقافية:

عشاق الأرض

طالب جميل



للشهداء كرامةٌ وقيمة اجتماعية ووطنية ودينية وأخلاقية تتجاوز كل الكلمات والعبارات الجميلة، ودلالات أنبل من أن يتم اختصارها في جملة أو كتاب أو حتى مجلد، لأنَّ فعل الشهادة بحد ذاته قيمة أكبر من أن توصف بمديح أو يُعبر عنها بقصيدة أو أغنية، وعلى الرغم من تنوع الأسباب والدوافع التي تدفع الإنسان إلى الاستشهاد، يبقى للشهيد الفخرُ بأنه ضحَّى بحياته من أجل أن يعيش غيره، ومن أجل أن يكون لغيره مستقبل أفضل.

الشهادة هي التضحية، هي قصة حب مع حفنة تراب، هي علاقة مع أرض لا تقبل أقل من الروح مهراً لها. وفي اللغة سُمِّي الشهيد بهذه التسمية لأن روحه شاهدة أو حاضرة ولا تغيب، أما من حيث القيمة، فيكفي الشهيد قداسة ما قام به، فقد آمن بالفكرة وحارب من أجلها وضحى بحياته لهذه الغاية، الشهيد هو من أحب أرضه ووطنه أكثر من أي شيء آخر، وهو الوحيد الذي كان يعي حقاً قيمة الوطن.

قدم الشعب العربي الكثير من الشهداء من أجل الوطن في مختلف المراحل التاريخية، وما تزال قوافل الشهداء تسير حتى يومنا هذا، فما تزال هنالك أراضٍ عربية محتلة، وما يزال المستعمر حاضراً بشكل مباشر أو غير مباشر، وما تزال الروح في أعلى درجات استعدادها للتضحية، وما يزال الدم العربي ينبض في عروق كل عربي، والتوق للتحرك والوحدة والاستقلال هاجس كل عربي حرّ.

في عصور الظلام والجهل التي فرضتها السلطات العثمانية على أغلب الأقطار العربية قدّم العرب الكثير من الشهداء وكانت المشانق تعلق لكافة المقاومين والأحرار الراضين لهذا الاستعمار ولسياسة القمع والاضطهاد والإذلال، وللمؤمنين بعروبيتهم خصوصاً من المثقفين والشعراء والكتاب وقادة الرأي الذين كانوا يدعون الناس لرفض هذا الحكم الظالم.

وبعد انهيار الحكم العثماني في المنطقة وزواله، استمرت المؤامرة على هذه الأمة، فقامت الدول الاستعمارية بتقسيم الوطن العربي إلى دويلات مفتتة عبر ما يسمى باتفاقية (ساكس-بيكو)، وقامت هذه الدول باحتلال المناطق العربية وتقاسمها، لكن ذلك لم يثن العرب في كافة الأقطار عن مقاومة كافة أشكال الاستعمار وتقديم التضحيات من أجل التحرر والاستقلال، والذاكرة العربية مكتظة بكثير من النماذج البطولية التي تصدّت للمستعمرين من قادة وأبطال قدّموا أرواحهم قربانين من أجل الوطن، فما تزال أسماء (يوسف العظمة، عبد الكريم الخطابي، عمر المختار، سعد زغلول، سلطان باشا الأطرش، عبد القادر الجزائري) وغيرهم من العظماء عالقة في أذهان كافة الأجيال العربية، وما يزال الشعب الجزائري يتصدر المشهد البطولي في هذا المجال، فهو الشعب الذي قاوم الاستعمار الفرنسي لأكثر من (132) عاماً وقدم حوالي مليون ونصف المليون شهيد في سبيل هذا الهدف النبيل في مشهد تاريخي مقدس لا يتكرر، بالإضافة إلى أقسام الشعب العربي الأخرى التي دحّرت المستعمرين في مختلف الأقطار وقدم الكثير من أبنائها التضحيات من أجل التحرر والاستقلال.

أما فلسطين، فما تزال حتى يومنا هذا تهفو إليها قلوب المقاومين وما تزال قبلة عشاق الشهادة، وما تزال القضية الأولى التي لا خلاف عليها، وما يزال حلم الشهادة يراود كل إنسان عربي شريف تسري في عروقه دماء عربية، فمنذ بداية تزايد معدلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين في نهايات القرن التاسع عشر، ومنذ انتفاضة موسم النبي موسى عام 1920 أثناء قيام بعض المستعمرين اليهود بالاحتفال بموسم النبي موسى، مروراً بثورة عام 1936، إلى الحروب التي خاضها العرب ضد الكيان الصهيوني وشاركت فيها عدة جيوش عربية وأهمها حرب عام 1948 وحرب حزيران عام 1967 ومعركة الكرامة عام 1968 وحرب تشرين عام 1973، كان الشباب العربي المقاوم من مختلف الإيديولوجيات مشاركاً ومضحياً، وسقط في تلك الحروب والمعارك الكثير من الشهداء الأبطال من كافة مشارب الأرض العربية، وفي انتفاضة الحجارة عام 1987 لم تتوقف قوافل الشهداء، فسقط كثير من الشباب الفلسطينيين من مختلف الأعمار، وكان لهم مجد الشهادة. حتى الأطفال منهم حينها كانوا يتسابقون إلى الشهادة، وكذلك الأمر في انتفاضة الأقصى عام 2000، عدا عن الشهداء الذين سقطوا في الحروب التي كان يشنها العدو الصهيوني على بعض المناطق الفلسطينية خصوصاً قطاع غزة.

ولم تبخل المقاومة اللبنانية بتقديم الكثير من الشهداء حفاظاً على كرامة لبنان ووحدته أراضيها ولاستعادة الأراضي التي احتلها الصهاينة فحاضت عدة معارك ومواجهات ضد العدو أهمها في الأعوام 1996 و2000 التي استعادت فيها المقاومة جزءاً كبيراً من أراضيها المحتلة، وحرب عام 2006 التي لقت من خلالها العدو الصهيوني درساً موجعاً. الشهادة مطلب حاضر ومستمر لكل من يؤمن بوطنه ولكل من يعتبر أن حق تحرير كل الأراضي العربية المحتلة حق لا يسقط بالتقادم ولكل من يرى في عروبته الأفق والنافذة التي ستقوده إلى النور، وتحقيق حلم الوحدة والنهضة والتحرير، لذلك سيبقى هناك أبطال يذهبون إلى حتفهم باسمين وسيفضلون الموت على الحياة وسيبقى عتادهم جاهزاً دائماً لأنهم عشاق الأرض الذين لا يقبلون أن يقدموا للوطن أقل من أرواحهم.

قصيدة العدد:

رجال الله / عمر الفرا

رجال الله يومَ الفتح في لبنان

كذا صارَ الدّمُ العربيُّ سكيناً وذبّاحاً...
وصارَ الشعرُ بعدَ الصمتِ في الساحاتِ صدّاحاً
كذا صرنا ولن نبقى إذا كنا تناسينا جهادَ الحقِّ والإيمان.
وأنَّ الشعبَ رغمَ الذلِّ... رغمَ القهر...
يرفعُ رايةَ العصيان..
يصمّمُ أخذها غصباً... ويأخذها
كذا فعلَ رجالُ الله يومَ الفتحِ في لبنان...

جنوبيُّ الهوى قلبي-وما أحلاه أن يغدو هوى قلبي جنوبيّاً-
هنا حطّت رحائننا... تعالِ اخلُغِ..
وقد أرجوكَ أن تركعَ... تعالِ اخلُغِ نعالِكَ..
إننا نمشي على أرضٍ مقدسةٍ فلو أسطيعُ أعبُرُها علي رمشي..
هنا سلبوا، هنا صلبوا، هنا رقدوا، هنا سجدوا، هنا قُصفوا،
هنا وقفوا، هنا رغبوا، هنا ركبوا براقَ الله وانسكبوا بشلالٍ من
الشهداء
قبلَ رحيلهم كتبوا كتاباتٍ بلا عنوان.. سنقرأ في مدارسنا...

رجال الله يومَ الفتح في لبنان
لأنَّ الشعبَ كانَ هناك يرفضُ فكرةَ الإذعان...
لأنَّ جراحهم نزفتُ ونخوةَ عزهم عزفتُ نشيدَ المجدِ للأوطان..
لأنَّ الأرضَ مطلبهم ونورَ الحقِّ مركبهم، تجرّدَ من بقيتهم
رجالٌ آمنوا... قرؤوا
(إذا جاء)

رجالٌ عاهدوا صدقوا...وقد شأوا كما شاء
صفاءَ النفسِ وحدهم...فجلُّ حديثهم صمتٌ، وكانَ الصمتُ إيماءً

إذا هبوا كإعصارٍ فلا يُبقي ولا يذرُ...
لهم في الموتِ فلسفةٌ، فلا يخشونه أبداً، بدأ أمروا..
لأجلِ بلادهم رفعوا لواءَ النصر...فانتصروا..

جنوبيون يعرفهم ترابُ الأرض، ملحُ الأرض، عطرُ منابعِ الريحان...
جنوبيون يعرفهم سناءُ البرق، غيثُ المزن، لونُ شقائق النعمان...
نجومُ الليل تعرفهم وشمسُ الصبح تعرفهم...وبوخ الماءِ للغدران
وقد عرفوا طيورَ الحبِّ، فكَّ السيفِ، شعرَ الفرسِ والإغريقِ والفينيقيِّ والرومان...
لهم علمٌ ومعرفةٌ بمن سادوا...ومن بادوا...وموسيقا بحورِ الشعرِ وكيفَ يُحرَّرُ
الإنسان...
جنوبيون كانَ اللهُ يعرفهم، وكانَ اللهُ قائدهم وأمرهم، لذا كانوا بكلِّ تواضعٍ..
كانوا رجالَ اللهِ يومَ الفتحِ في لبنان...

يومَ سطرَ ملحمة النصر في تموز، لبنان العربي، ببسالة أبنائه، بسواعد، بصواريخ، رجال مقاومة...
يومَ تخاذل جُلُّ العرب، عن مناصرته، ولو بكلمة أو موقف... يومَ وصفوا أبطاله (بالمغامرين)...

قال الشاعر العربي السوري عمر الفراء قصيدته الرائعة، مهداةً إلى فخر العرب، رجالِ المقاومة، رجالِ الله يومَ الفتح
في لبنان...

عمر الفراء، مواليد (1949-2015) شاعر شعبي عربي سوري. ولد في مدينة تدمر ودرس فيها، بدأ كتابة الشعر
الشعبي منذ عمر الثالثة عشرة واشتهر بطريقة إلقائه المميزة للسلسلة للشعر وكلماته المعبرة القوية، شاعر كبير
مبدع متمكّن يعد من أهم الشعراء العرب، عمل بالتدريس في مدينة حمص لمدة 17 عاماً ثم تفرغ للأعمال الشعرية
والأدبية. معظم قصائده بالعامية البدوية بلهجة منطلقة قوية إضافة لقصائد بالفصحى، وتتنوع قصائد الشاعر الكبير
عمر الفراء في العديد من المواضيع والأحداث والمناسبات والقصص الاجتماعية التي يعبر فيها أجمل تعبير.

من أشهر قصائده: رجال الله، حمدة، محمد الدرّة قصيدة وطن (وهي وصية أب لابنه في حب وطنه والتمسك به)،
عروس الجنوب (قصيدة رائعة عن الاستشهادية سناء محيدلي)، الياسمين، البندقية...

كاريكاتور العدد



انتهى العدد